بسم الله الرحمن الرحيم

النفي والبيان لما جاء في رسالة الطالب من بهتان

تأليف : بادي بن بَاي بن باب

المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على من لانبي بعده .. وبعد:

قال الله تعالى : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ وانطلاقاً من هذا المبدء النبيل ، الذي دلتنا عليه هذه الآية الكريمة ، فإني أذكّر أخي طالب الماجستير بتجارة رابحة لاخسارة فيها ، ولاربح ولانجاح بدونها .

هذه التجارة هي التي دل الله عليها عباده المؤمنين ووجههم إليها بنداء خاص وضمن لهم فيها خيري الدنيا والآخرة ، حيث يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؛ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ؛ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ .

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ يالها من أرباح لاتوجد في الأسواق ولافي الأغراض التجارية ولافي الرحلات والمقابلات الشخصية ولافي المخطوطات التاريخية ، ولاتكلف سوى اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه والتوكل عليه والخوف منه واللجوء إليه وكثرة الإستغفار إلى غير ذلك من جميع أنواع الأذكار .

ولاتكلف من الحركات سوى ما بين المسجد والمنزل ماهي هذه الأرباح التي دلنا عليها هذا النداء الكريم من قبل الله عز وجل :

أولاً : النجاة من العذاب الأليم .

ثانياً : غفران الذنوب .

ثالثاً : دخول الجنات .

رابعاً : المساكن الطيبة في جنات عدن .

خامساً : إرسال السماء بالماء المدرار الذي لاحياة لحي بدونه ، قال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

سادساً : الإمداد بالأموال .

سابعاً : الإمداد بالبنين ، قال تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ .

ثامناً : الجنان .

تاسعاً : الأنهار .

ويا عجباً لخريج كلية الدعوة وأصول الدين يؤثر على ما تقدم : الرحلات والفنادق والمقابلات والبحث عن المراجع التاريخية لقصد نيل درجة دنيوية ، يتعلق الحصول عليها على هذه الطريقة بمالا يرضي الله ورسوله شرعاً ، ولايرضي العباد عادة ولاطبعاً .

وذلك ما سيأتي بيانه في محله إن شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإني أُلفِتُ انتباه القارئ الكريم أن كل ما جلبناه من كتب ورسائل ونصائح ومواعظ هؤلاء الشيوخ ، نقلناه من مخطوطات قديمة جداً كانت تتداولها الأيدي في الصحراء ، وقد أصيب بعضها ببلل وطمس بعض الكلمات ، وبعض الأحيان بعض الحروف ، ولم نجد لأي نسخة من هذه النسخ نسخة أخرى نقابلها معها ، أو نصحح منها ما فسد من الأخرى .

وقد حاولنا بكل جهد وجد أن نأتي بما هو أقرب إلى الصواب ، إلا أنه مازال يظهر نقص في تركيب بعض الكلمات ، ثم إن الكلمات المطموسة التي لم نجد سبيلاً لاستخراجها نضع مكانها عبارة (إلى أن قال) ؛ ليتبين للقارئ أن في الكلام حذفاً . اهـ .

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

تحتوي هذه الرسالة على المواد التالية :

أولاً : تعريف المؤلف والتمهيد .

ثانياً : بعض من أكاذيب طالب الماجستير وبيان ذلك .

ثالثاً : رحلته العلمية هل تستحق هذا الإسم أم لا ؟

رابعاً : نبذة موجزة عن حياة الشيخ سيد المختار الكنتي .

خامساً : مقتطف من كتابه كتاب المنّة وذلك في العقيدة .

سادساً : مقتطف من كتابه الأجوبة الشافية وذلك في حقيقة التقوى .

سابعاً : مقتطف من كتابه جذوة الأنوار وذلك في تعريفه للأولياء الأخيار .

ثامناً : بعض من خطبه ورسائله ومواعظه ونصائحه ومراثيه .

تاسعاً : رسالة وقصيدة لابنه الشيخ سيدي محمد الخليفة .

عاشراً : رسالة من حفيده الشيخ سيدي المختار الحفيد إلى سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن بن هشام .

حادي عشر : رسالة من أحد أحفاده الشيخ باي بن الشيخ سيدي اعمر إلى الأمير المأمون بن حمادي .

ثاني عشر : فصل في عرض ونقد طالب الماجستير والرد عليه ويتضمن هذا الفصل عدة فصول كلها نقد ورد .

الثالث عشر : هدية إلى طالب الماجستير وتبيّن هذه الهدية ماذا يجب أن يكون عليه طالب العلم وماذا يحل به إذا انحرف عن ذلك المسار .

والغرض من هذه المقتطفات والرسائل والمواعظ ، ليتبين القارئ ويتأكد من بهتان هذا الطالب الذي بَهَتَ به هؤلاء العلماء الذين نال عنهم في تهكماته السخيفة :

« أنهم كانوا يجمعون المريدين لخدمتهم ولجمع المال ، وأنهم لم يقوموا بتجديد سنة المصطفى ﷺ ، وأنهم اكتفوا بما هم فيه من السلامة والجاه العريض » كما يقول هو ، ولم يذكر هذا حين جمع هذه العبارات قول الله تعالى :

﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾

كما أنه لم يتذكر أيضاً أنه سيحاسب على كل كلمة سجلها على نفسه في هذه الرسالة ، يوم لاتشدق فيه ولافلسفة ؛ يوم لاتنفعه ماجستير ولادكتوراه .

﴿ يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .

وسلامة القلب ينفيها عنه تسلطه وتكفيره وتنبيؤه لهؤلاء العلماء ، والرسول ﷺ يقول : « لايرمي رجل رجلاً بالكفر أو السفق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » .

والذين رماهم الطالب بهذا البهتان ليسوا كذلك ويشهد لهم تاريخهم الحافل باتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والقيام بنشرهما وتبليغهما وفق أمرهما ونهيهما ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم إني أخبر هذا الطالب ، أن الذي فضل العلم وجعله يسافر في طلبه من المغرب إلى المشرق ، هو أن يتقي به الله تعالى ويبتغي به وجهه الكريم .

لكن ما قام به - أي الطالب - ينافي التقوى وينافي الإسلام أصلاً ، « لأن المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » فيده - أي الطالب - عاجزة ، ولسانه تجاوز به الحد في السبّ والأذى للمسلمين .

ثانياً : أن ينشره صاحبه - أي العلم - بأن يهدي به ضالاً ، أو يرشد به منحرفاً أو يعلم به جاهلاً ؛ ليزيد في الإسلام لبنة .

وهذا مالم يقم به طالب الماجستير ، ولو أنه أنفق ما أنفق من الجهد والجد والمال والكد في تحصيل رسالته ؛ أنفقه على التعليم والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى في بلاده التي كان يحتطب من أعراض علمائها وأمواتها لرسالته ؛ لكان خيراً له وللمسلمين ، وأسلم لدينه ودنياه ، لأن هذا هو مبدأ العلم الصحيح والسليم .

لكن يبدو أن هذا ليس في خطته التي طلب العلم من أجلها ، ولذلك أوصلنا إلى مانحن بصدده .

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل ...

المؤلف

بادي بن باي بن باب بن سيدي محمد بن باب بن الشيخ سيدي محمد (الخليفة) بن الشيخ سيدي المختار الكنتي .

وإني أحيط القارئ الكريم علماً أني لست على كفاءة علمية تمكنني من الكتابة الصائبة أو الرد المناسب ، وبهذا فإن ما سيأتي في هذا الرد إن كان صواباً ، أو فيه ماهو صواب ، فهو من توفيق الله وتسديده ومصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ .

وإن كان على العكس ؛ فمستواي العلمي يجعلني أهلاً للأخطاء وعدم الصواب .

وفي هذه الحالة ، أرجو من القارئ الكريم الستر والسماح وصالح الدعاء ، لأن الذي حملني على هذا الرد هو ما يأخذ المسلم من الغيرة على أخيه المسلم ، إذا رأى عرضَه ينتهك تجنياً وعُدواناً .

فقد عثرتُ بطريقة الصدفة على رسالة طالب الماجستير محمد الداه ؛ الذي لفق في جمعها من الأدلة الكاذبة والمكذوبة ما يُحير عقل المطلع عليه ؛ لانتماء هذا الطالب لكلية الدعوة وأصول الدين ؛ والتي هاجم فيها جماعة من علماء الأمة المحمدية ؛ وذلك لغرض الحصول على شهادة الماجستير ، كي يستعين بها على معاشه ، وهو لايدري هل يعيش معها أو يخلفها وراء ظهره ، ويذهب برفقة ما جمع في شأنها من آثام وأوزار ، نسأل الله السلامة والعافية .

ومن جملة هؤلاء المهاجمين : الشيخ سدي المختار وابنه الشيخ سيدي محمد الذين هما محور ردنا هذا ، علماً بأن هذين الشيخين قد أفضيا إلى ما قدما منذ ما يقارب مائتي سنة تقريباً والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ما كسبتم ولاتسألون عما كانوا يعلمون ﴾ والرسول ﷺ ينهى عن سب أموات الكفار، إذا كان المسلم الحي يتأذى منه ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :« لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » .

فما ظنك بسبٍّ أموات علماء المسلمين ؛ وتأذي آلاف المسلمين من هذا السب ؟ وهل يوجد سبٌ أقبح أو أشنع من أن يُرمى مسلم حافظ لكتاب الله ، عالم بسنة نبيه ﷺ ، داع إلى الله ، آمرٌ بالمعروف ، ناه عن المنكر ، منفق في سبيل الله ، معلمٌ في سبيله ؟! بادعاء الربوبية التي لم يدعها إلا فرعون ومن على مشاكلة ، وتارة بادعاء النبوة التي لم يدعها سوى مسليمة الكذاب ومن على شاكلته ؟!

اللهم إن هذا منكر فانكرناه !! ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . لكن إذا رجعنا لتاريخ أجلة علماء أمتنا الإسلامية ، منذ فجر الإسلام ؛ نجد أن هذه سنة مطردة فيهم ، إذ لم ينهض أي عالم منهم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحيي السنن ويميت البدع ، إلا تسلط عليه فيما يقوم به من يسيء إليه ويؤذيه .

فهذا الإمام مالك بن أنس ، وهذا الإمام أحمد بن حنبل ، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية .

وهذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ الذي انتشل الجزيرة العربية من ظلمات الجهل وعبادة الأوثان ، فأحيا السنة المطهرة وقضى على البدع والخرافات .

كل هؤلاء وغيرهم أوذوا في سبيل ما قاموا به ، وألفَتْ المؤلفات في سبهم وشتمهم ، وما هذان الشيخان إلا ممن شملتهم هذه السنة التي كانت تنتظر من يقوم بها ؛ حتى وفق لها وفاز بالقيام بها طالب الماجستير !!

اللهم ألهمنا الحق والصواب والصدق في الخطاب والتوفيق في الأعمال والأسباب .

بعض من أكاذيبه وتلفيقه وما يتعلق بذلك من بيان :

في الصفحة ٨٢٤ ، قال طالب الماجستير :

« وقد حاولت معرفة واقع القادرية بفرعيها : المختارية والفاضلية في الوقت الحالي ، وذلك أثناء رحلتي العلمية في كل من المغرب وموريتانيا فقابلت من أجل هذه المهمة كلاً من : الشيخ سيدي اعمر بن سيدنا الأمين العام لزاوية الشيخ سيدي المختار الكنتي ، والقاضي عبد الله بن الرقاد ؛ هذين عن المختارية ، والشيخ سعد أبيه بن الشيخ التراد وولده القاضي محمد

عن الناضلية ، فكان من كلام أمين عام زاوية الشيخ سيدي المختار الكنتي في نواكشوط : أن الطرق الصوفية أصبحت عبئاً على الإسلام وخصوصاً بعد انتصار الطرق المنحرفة ونشرها لبدعها وتشويهها على الطرق السنية ، وإن مهام الزاوية تنحصر في جمع كتب الشيخ وأبنائه والتعريف بهم وبقيمة مؤلفاتهم ، وأضاف : أن آل الشيخ سيدي نصحوه عندما كان يصور من مكتبتهم بعضاً من مؤلفات هؤلاء الشيوخ ؛ أن لايشتغل بنشرها قبل غربلتها واستبعاد مالا يتماشى مع الواقع الآن ؛ لأن لكل قوم ما يناسبهم .

ولما سألته : هل تنوي الزاوية أن تنصّب شيخاً للتربية الصوفية ، وإعطاء الأوراد ؟ استبعد ذلك قائلاً : إنه يوجد شيخ في البادية يصلح لهذه المهمة ، ولكنه - أي سيدي عمر - لايظن أنه سيستجيب إذا طلب منه ذلك » .

اللهم لاتجعلنا من الذين إذا حدثوا كذبوا وإذا أئتمنوا خانوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا خاصموا فجروا !!

أيها القرئ الكريم : اعلم أن هذا الرجل أعنى (سيدي عمر) الذي قال طالب الماجستير أنه أجرى معه هذه المقابلة سؤالاً وجواباً وأخذاً ورداً ؛ لايعرف وجهه أصلاً ولم يلتق به ولم يجر معه أي حوار إلا بعد مناقشة رسالته بما يزيد عن السنة تقريباً ، عندما عين قنصلاً لموريتانيا في مدينة جدة ، وعندما سمع ورأى - أي سيدي عمر - ما أسند إليه من أقوال كاذبة من قبل هذا الطالب استغرب قائلاً : إنه لم يعرفه ولم يلتق به ولم يسأله ولم يرد عليه . وعندما شاع الخبر وذاع حتى بلغ طالب الماجستير جاء إلى الرجل يعتذر له ويستسمح منه ، ووعده أنه سيشطب من رسالته كل هذه المقابلة الكاذبة .

أيها القارئ الكريم والمطلع الفهيم والمستمع الحكيم ، أنت تعلم كل العلم أن هذه المقابلة لايمكن حملها على السهو أو الغلط ، لوقوعها أثناء الرحلة العلمية ولدقة أسئلتها وأجوبتها ولطولها وعرضها ، ولمستوى مكانة الرجل الذي وقعت معه . إذاً فهي مكذوبة عمداً وإصداراً ، وهذا يجعلنا نشك في كل ما أورده في هذه الرسالة من مقابلات وغيرها ، مع أنها ليست

المقابلات وحدها ، بل زور على عدة صفحات في بعض الكتب التي كان يعتمد عليها في رسالته ، وهاكم بعضاً من تلك الصفحات على سبيل الدلالة لا الحصر :-

جنة المريد ص ٩٠ - ٩١ .

جنة المريد ص ٥٩٧ .

جذوة الأنوار ص ٩ - ١٠ .

جذوة الأنوار ص ١٤ .

جذوة الأنوار ص ١١١ - ١١٢ .

كل ما نسب إلى هذه الصفحات لا أساس له من الصحة ، ولا تتكلم أصلاً في نفس الموضوع الذي أسنده إليها ، وهذا ليس بغريب على هذا الطالب إذ زور على رجل مشهور حي ناطق متحرك بإمكانه نفي كل ما نسب إليه من أباطيل كما فعل ، إذاً لايعجزه أن يكذب على صفحات جامدة في بطون كتب غير معروفة لايخشى عواقب تكذيبها إياه .

ومن ناحية أخرى ، كان طالب الماجستير دائماً يلوح ويومئ في رسالته نحو الشيخ سدي المختار أنه يدعي السلب وغيره ؛ مما يراه مشوهاً لمكانة هذا الشيخ عند من لايعرفونه ؛ ومن ذلك ما أورده في ص ٤٩٩ حيث يقول طالب الماجستير :

« ويفهم من كلام الشيخ سيدي المختار الكنتي في (جذوة الأنوار) أنه أراد السَّلْب حيث يقول :-

(يروى أنه من الذنوب ذنوب لاعقوبة لها إلا سوء الخاتمة والعياذ بالله ، كالتكذيب بالولاية والطعن في العلماء وادعاء الولاية) » .

قلت : ولست أرى في هذه الكلمات ما فهمه هذا الطالب وطعن به في هذا الشيخ أنه إدعاء السلب أو إرادته ، لأن الشيخ قال : « يروى أنه من فعل كذا عوقب بكذا » ولم يقل : من فعل كذا عاقبته بكذا أو سأعاقبه بكذا .

وحتى الفتوى التي أفتى بها في هذه المسألة لم ينسبها لنفسه بل قال : « يروى » ومعنى

هذا أنها أفتى بها غيره أو رويت عنه .

إذاً ما الذي فهمه الطالب واتهم به هذا الشيخ والذي قدم لنا من دليل هو ما أسلفناه ، اللهم إلا إذا كان هذا الطالب يرى كل ما تكلم به هذا الشيخ أنه كفر وادعاء لمالا يجوز ادعاؤه ، وإن كان أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر .

ولنعد قليلاً إلى هذا الاسم الذي أطلقه على رحلته ، لنرى هل هي تستحقه أم أطلقه عليها زوراً هي أيضاً ؟

وهو (الرحلة العلمية) !!

قلت : إن المعروف عند أهل السنة المحمدية أن العلوم ثلاثة :

- آية محكمة .
- وسنة قائمة .
- وفريضة عادلة .

ولانرى طالب الماجستير سافر في طلب أي من هذه العلوم الثلاث ، بل نراه سافر طلباً لما يطعن به في أموات علماء المسلمين ، وبحثاً عن مساوئهم لينشرها طلباً للحصول على غرضه المعروف ، ولينسب القبائل إلى آباء لم تلدهم ظناً منه واحتمالاً ، لالمعرفة حقيقة ولابدليل قاطع ، وهذه الأمور إن لم تكن آثاماً عالقة به ، لن تكون علوماً حتى يطلقها على أسفاره ورحلاته .

فصل موجز عن حياته :

هو الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر بن سيدي محمد حبيب الله بن الوافي بن السيد عمر الشيخ بن السيد أحمد البكاي أبي دمعة بن سيدي محمد الكنتي ابن سيدي علي بن يحى بن عثمان بن عبد الله بن عمرو الملقب (يهس) بن وريد الملقب (دومان) بن يعقوب الملقب (شاكر) ابن العاقب بن عقبة المستجاب بن نافع القائد الإسلامي الذي لايحتاج إلى تعريف .

مولدة ونشأته :

ولد الشيخ سيدي المختار الكنتي - رحمه الله - سنة اثنتين وأربعين بعد المائة والألف هجرية بموضع يدعى (كثيب أوقالة) في شمال منطقة (أزواد) ، وهي صحراء تابعة الآن لجمهورية مالي ، على طريق القوافل التي تربط بين سبخة تاودنّ في أقصى الشمال ومدينة قاوى على ضفة نهر النيجر جنوباً .

ولما بلغ الخامسة من عمره توفيت والدته ، وفي العاشرة من عمره توفي والده ، فكفله أخوه لأبيه سيدي محمد الملقب أبي حامية . فنشأ في بيئة إسلامية على مستوى رفيع من العلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان في هذه الفترة ترى عليه علامات النبوغ ، وكان جده لأمه وهو رجل عابد زاهد يشهد له أهل زمانه بالصلاح وهو سيد بادي يضع يده على رأسه ويقول :

ماذا من العجب في هذا الرأس ، السعيد كل السعيد من أدرك أيامه .

رحلته في طلب العلم :

ولما بلغ الشيخ - رحمه الله - الثالثة عشرة من عمره خرج في طلب العلم حتى أتى حياً من السوقيين يقال لهم (كَلْ تَلنبَسْ) فمكث عند هذا الحي يتعلم العلم حتى أخذ ماشاء الله أن يأخذه من العلم ، ثم انتقل إلى عالم آخر يدعى (آحَّه) من قبيلة (كَلْ المحَرَمْ) وهو سوقي أيضاً ، فالسوقيون قبيلة معروفة بالعلم والحفظ والورع ، وقد مدحهم الشيخ بمقطوعة شعرية من

جملة أبياتها هذا البيت :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لأهل السوق أنتم لها أهلا

فمكث الشيخ عند (آحة) يتعلم جميع أنواع العلم وبالأخص الفقه المالكي ، ولما احتوى على ما عنده أمره بالتوجه إلى تينبكتو ، ولما وصلها لم يجد فيها ضالته ، ولكنه لم يزل يبحث حتى عثر على رجل يدعى (الكوينهين) فسلمه مفاتيح مكتبة له وجلس فيها يطالع فترة من الزمن ، ثم خرج يبحث عن الشيخ سيدي علي ، فلما وصله وجده هو الضالة التي كان يبحث عنها ، فكيف لا وهو الشيخ سيد علي بن النجيب العالم المربي العارف بالله الناسك المتعبد صاحب الأحوال السنية والأعمال الزكية ، فأخذ عنه العلوم والأوراد وعمل عنده في رياضية نفسه وتأديبها وتهذيبها وتطهيرها من رينها وأدناسها ، وحرق شيطانها وشهواتًا بمراقبة الله وذكره ، وفصلها عن ركونها وارتباطها بالخلق بتعلقها وأنسها بالحق ، حتى أخذ ماعند هذا الشيخ أيضاً من العلوم ورآه أهلاً للتدريس ونشر العلم والدعوة إلى الله تعالى فأجازه وأمره بالتوجه إلى أهله والقيام بواجبه في هذا المجال ، فلما وصل أهله أسس مدرسته (المدرسة الكنتية) ، فكانت فصلين : فصل في المسجد يتخرج منه الرجال ، وفصل في البيت تتخرج منه النساء .

وقد تفرعت أفنان هذه المدرسة وأغصانها فأينعت وأثمرت ، وآتت أكلها في كل من موريتانيا والمغرب والجزائر والسنغال ومالي وساحل العاج والنيجر وتشاد وحتى السودان وغيرهم من البلاد المجاورة ، ولن أزيدكم على ماقاله عنها (محمد المنون) والذي نقله لنا عنه كتاب العلاقات بين المغرب وافريقيا الغربية تحت عنوان « المدرسة الكنتية أكبر قناة بين الإفريقيين في العصر الحديث » فقال :

المدرسة الكنتية القادرية مركزها القيادي في (أزواد) بصحراء مالي ، المنطقة التي يتواجد فيها كثير من قبيلة كُنْتَ ، وبها كان الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر الوافي من ذرية الفاتح عقبة بن نافع وهو من مواليد ١١٤٠هـ / ١٧٣٠م ، وتوفي عام ١٨١٢م ،

وإلى تأسيسه للطريقة المختارية القادرية يعتبر علماً لامعاً في عطائه المعرفي وسلوكه الإسلامي يقول عنه ابن مخلوف :-

كان من أعلام العلماء ، والأئمة الفضلاء ، وأحد الأساتذة المشهورين والجهابذة المعروفين .

وفي تعبير مؤلف الوسيط :-

كان من أفراد عصره علماً وصلاحاً .

بينما يصفه أبو إسحاق التادلي في أعداد الذين جددوا العلوم والدين في المغرب ، وفضلاً عن مبادراته الهادفة في ميادين التعليم والإرشاد خلف مؤلفات رصينة تتوزعها مواد الفقه والتصوف والأدب ، وبين موضوعاته الموسوعية نشير إلى :

« نزهة الراوي وبغية الحاوي »

في مجلد ضخم أو سفرين حسب كتابة نسخه ، صنفه في واحد وعشرين باباً ، نثر فيه مسائل من التوحيد والسيرة النبوية والوعظ والحديث والنباتات والمعادن والأحجار والتاريخ ، وقد أثار هذا الكتاب اهتمام الشيخ رفاعة ، فأشار إليه في رحلته وهو يتحدث عن كروية الأرض : -

وممن قال من علماء المغرب بأن الأرض مستديرة وأنها سائرة العلامة الشيخ سيد المختار الكنتاوي بأرض (أزواد) بقرب بلاد (تينكتو) وألف كتاباً سماه (النزهة) جمع فيه جملة علوم ، فذكر بالمناسبة علم الهيئة فتكلم على كروية الأرض وعلى سيرها ووضح ذلك ، فتلخص من كلامه أن الأرض كرة ولايضر اعتقاد تحريكها أو سكونها ، وفي سيرته أنه كان يهتم بتثقيف النساء ، فيذكر عنه ابنه الشيخ سيدي محمد أنه ختم المختصر الخليلي تدارساً هو وزوجته في يوم واحد ، الشيخ للرجال وزوجته للنساء .

قلت : وهذا يدل على كثرة تزاحم الطلاب على هذا الكتاب بين الرجال والنساء لأنه هو الكتاب الأول بل الأهم عندهم في الفقه المالكي .

ونفس المصدر يسجل عن المترجم أنه كان يعامل الرقيق معاملة إسلامية فيكسوهم كسوة

الأحرار ، وينفق عليهم نفقة العيال ، ويقوم عليهم بالآداب ، ويقوم عليهم قيام السائس العالم ويحذر من تعذيبهم ؛ وبهذه السيرة وأشباهها انتشر للشيخ سيدي المختار الكبير صيت امتد إلى مصر وانتهى إلى الشيخ مرتضى الزبيدي ، فراسله وأمده .

وبعد وفاته تسلسلت ريادة المدرسة الكنتية في عَقِبِه بدءاً من ابنه الشيخ سيدي محمد المتوفى ١٢٤١هـ - ١٨٢٨م وهو لايقصر عن والده علماً وتأليفاً وسلوكاً ، ثم خلفه ابنه الشيخ سيدي المختار الخليفة أو الحفيد بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير المتوفى ١٢٦٣هـ - ١٨٦٥م وبعده انتقلت الرئاسة إلى أخيه الشيخ أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير المتوفى ١٢٨١هـ - ١٨٨٣م وسيكون الشيخ أحمد البكاي رابع الشيوخ الأولين للمدرسة الكنتية ، وقد كانوا معهم تلاميذهم يتبنون الدعوة إلى إحياء السنة وإماتة البدعة ، وذلك مايلاحظه محمد الأمين الصحراوي : -

ولم نجد اليوم طائفة على نهج السنة المحمدية إلا طريقتين :

- طريقة شيخنا سيدي المختار الكنتي .
- وطريقة شيخنا سيدي أحمد بن ناصر .

وهاتان الطريقتان عَزَّتاوقَلّتا من أجل السنة وإلى هذا فإن أطر المدرسة المختارية شيوخاً وتلاميذ جميعهم نشروا الإسلام إلى قلب إفريقية ووقفوا سداً منيعاً على التبشير المسيحي ، وتوزع نشاطهم بين ثلاث مراكز : -

- الزاوية القادرية البكائية (بأزواد) وتمثل القاعدة المركزية لنشر الدعاة منها إلى تينبكتو وما وراءها .
- ثم الزاوية القادرية في آدرار الصحراء .
- ثم الذين في ولاته ينتشرون إلى السودان الغربي ، وعن حماس الكنتية في نشر الإسلام بإفريقيا الغربية يقدم مؤرخ فرنسي هذه الشهادة :

وبالإجمال فالقادرية هم أحمس مبشري الدين الإسلامي في غرب إفريقية من السنغال إلى

بنين التي بقرب مصب النيجر ، وهم ينشرون الإسلام بطريقة سليمة » إلى أن قال :

ومنها - أي شهادة الفرنسي - ومن أدلة آتية نتبين أن الطريقة الكنتية ليس كما يتبادر جماعات أوراد وأذكار ، وإنما تضيف لذلك حماساً إسلامياً لنشر الدعوة الإسلامية ومقاومة المد المسيحي والتدخل الأجنبي ، حتى إذا سرنا معها إلى الصحراء الكبرى والمغرب نعيش مع أعمالها لإحياء السنة وإماتة البدعة ، ومع نداءاتها إلى الإستعداد لمقاومة التدخل الأجنبي ، وكان بين الدعاة في الصحراء زمر من تلاميذ الكنتية يتقدمهم الشيخ سيدي بن المختار بن الهيبة الأبييري ثم الإنتشائي ، وهو الذي له الحظ الموفور واليد البيضاء في نشر الطريقة المختارية بالصحراء والسودان .

وقد أنجب الشيخ سيدي ابنه الشيخ سيدي محمد واشتهر هذا أكثر بقصيدته البطولية التي تترجم هموم المدرسة الكنتية ، وفيها ينذر بأزمة الصحراء أمام التهديد الأجنبي ويحرض على الإستعداد وجمع الكلمة أمام الحظر المشترك ، وهي قصيدة مطولة ومن صرخاتها : -

فيا للمسلمين لها أموراً	لها الأكباد تنفطر انفطارا
تهاونتم بموقعها وما إن	تهاونتم بها إلا اغترارا
لصوص لاتخاف البأس منكم	ولا العقبى فترضى أن تدارى
وروماً عاينوا في الدين ضعفاً	فراموا كل ما راموا اختيارا
فإن أنتم سعيتم وافتديتم	برغم منهم ازدجروا ازدجارا
وإن أنتم تكاسلتم ونمتم	برغم منكم ابتدروا ابتدارا
فألفَوكُم كما يبغون فوضى	حيارى لاانتداب ولاائتمارا
ولم أعرف وسوف ترون عما	قليل صبح ليلكم استنارا

وعند هذه المقتطفات ننتقل من الصحراء إلى المغرب الأقصى ، حيث ظهرت به الطريقة الكنتية خلال القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) ومع مر الزمن صارت من أشهر الطرق بالمغرب ، وتأدى إليها إشعاعها من عدة قنوات تتصاعد إلى الشيخ سيدي المختار الكنتي

الكبيـر ، ثم ذكر (المنون) عـدة علماء يبلغـون العشرة من الأجلة المشـهـورين أدوا للإسلام والمسلمين دوراً بارزاً ومحموداً وكلهم أخذوا وتخرجوا من هذه المدرسة الكنتية ، إلى أن قال – أي المنون – :

ونصل الآن إلى تبريز التعاليم الكنتية للمريدين بالمغرب ومن بينها توجيهات تتصل بالحياة الفردية والاجتماعية والدفاع عن الإسلام ، ولدينا في هذا الصدد رسالتان توجيهيتان أولاهما للشيخ سيدي المختار الحفيد ، وقد خاطب بها السلطان العلوي مولاي عبد الرحمن بن هشام ، وتقتبس منها إشارات هادفة ريثما يأتي نصها كاملاً فتبتدي بحديث الدين :

« النصحية لله ، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وخاصتهم » .

فعن القرآن الكريم تحض الرسالة على تفهم علومه وإكرامه والإعتناء بمواعظه والتفكير في عجائبه ، وعن نصيحة الأمة لأمرائها ، تشرحها الرسالة بمعاونتهم على الحق وأمرهم به وتذكيرهم بلطف ورفق وإعلامهم بما غفلوا عنه من أمور المسلمين وحقوقهم ، والدعاء بالصلاح لهم وترك الخروج عليهم ، والجهاد ، وآداء الزكاة إليهم وامتثال أمرهم ، وعن العلماء تأتي هذه الفقرة :

« وليس المراد من تزيا بزيِّهم ، وادعى العلم ، وأكل الدنيـا بالدين ، فـإن نصيحـتـهم ونصيحة عامة المسلمين أن ينسلخوا عما هم عليه » .

وتقول الرسالة عن تعميم التعليم :

« الناس كلهم محتاجون إلى العلم ، وهو زينة لهم ووسيلة وأشد الناس احتياجاً إليه وأكملهم زينة به الأمراء » ولاينسى الخطاب الكنتي أن يثير قضية الحجاب « فيندب إلى تخفيف أمره تفادياً من دفع البوابين الشكاة المظلومين قبل انتهاء شكايتهم لأخذهم على ذلك الرشوة من الظلام الغصاب ، ومكث المظوم الشهر والشهرين على الأبواب لايستطيع إبلاغ حاجته ، ولايجد من يبلغها حتى ينصرف بغيرها أو يبلغها بعد جهد جهيد وعلاج شديد ، وقد يحتبس أكثرهم عن رفع الشكاية لعلمه بطول تردده على الأبواب وشدة من العمال وتمالئهم

وترشيهم على عدم إيصال الشكايات ، فيضيع بذلك كثير من الناس وحقوقهم » .

وبعد هذه الإقتباسات القليلة من الرسالة الكنتية إلى الحضرة السلطانية ، نعقب بإشارات مقتضبة من النصيحة التي كتبها الشيخ أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي ، وخاطب بها أهل المغرب عموماً وخص أهل فارس ومكناس مع الأكابر من أهل مراكش ، فتبتدي بدعوة صارخة لإحياء شعيرة الجهاد بالمغرب ، وخلال ذلك تثير الرسالة خطورة الواقع المعاش في هذه الفترة : -

فاخشوا فإني أخشى وخافوا فإني أخاف من أعداء الله وأعدائكم حتى ما يزيد مخافتي ما وقع بإفريقية ، وما فعلوا ببعض أهلها مما لم يفعله إلا فرعون ببني إسرائيل قبل موسى عليه السلام ، فإنه بلغني أنهم يضعون عليهم من سوء الملكة وتثقيل المغرم وسبي الذرية واسترقائها ، وسبي النساء واسترقاقهن ما يشق القلوب والأكباد ، ويذود السرور والرقاد ، ويحمل الرجال على الهم والإهتمام وينبههم إلى الحزم والإحتزام ، ويشغلهم ليس بالإسراج والإلجام شغلاً عن الشراب والطعام ، حتى يظهر عز الإسلام أنكم لستم بالأنعام » .

وتنتقل النصيحة إلى واقع الإشتغال بمدونات الفقه ، فتوجه المريدين إلى تأصيل فروعها بالرجوع إلى القرآن والحديث : -

« فعليكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم ، لازيلنكم عنها الشيطان ولايزلنكم عنها الفتان ، فتعلموا كتاب الله واعلموه وتفهموه وافهموه ، ولايكن حظكم منه رسمه ، فيكون حظكم من الإسلام اسمه ، فاعنوا - رحمكم الله وأعانكم - بكتاب الله وسنة رسوله ، فاحملوهما لتكونوا من حَمَلَتِهِمَا حَمَلَةَ العلم وحَقِّقُوهما قراءة وتفسيراً وإعراباً ولغة .. » .

وعن سيرة القضاء تقول النصيحة :

« ... وقد بلغني أن القضاة فيكم أو بعضكم قد أحدثوا في القضاء مالا يليق من بقاء الخصمين في الخصام مدة أشهر طويلة أو إلى عام ، وإنما للقاضي وإنما عليه أن يستمع للخصمين في الوقت ، ويفهم كلامهما ويعرف وجهه ، ثم يقطع بينهما الكلام ويفصل فيما

لديهما الخصام ولايمكنهما من كثرة الكلام وتشغيبه وتطويل الخصام وتشعيبه ، فإنه ليس من السنة الحسنة ولامن البدعة المستحسنة » .

وستكون هذه الفقرة آخر الإشارات الهادفة في نصيحة الشيخ أحمد البكاي الكنتي ، وقد رأينا فيها أفكاراً عن الجهاد والدعوة إلى الرجوع للكتاب والسنة وإلى تبسيط مسطرة القضاء بعدما قدمت الرسالة الأولى توجيهات حول تدبر القرآن الكريم وسياسة الحكم والعلماء ، والتعليم ، واحتجاب الحكام ، وهذه المبادئ كانت من العوامل التي اجتذبت للإنتساب إلى هذه المدرسة زمراً من المثقفين المغاربة ، وقد بينا خلال هذا العرض جملة منهم ، ونضيف لهم الآن الأسماء التالية حسب التسلسل التاريخي .

ثم عد المنون جملة منهم وبما قاموا به من نشر للإسلام والدعوة إلى الله تعالى ، وإحياء السنة المطهرة ، وقد اكتفينا بهذا القدر من كتاب المنون خشية التطويل ، ولأننا لسنا بصدد سرد حياة هذا الشيخ كاملة ولا بما قامت به مدرسته في هذا المجال ، لأن قصدنا هو إعطاء نماذج عنه تدحض ما جاء به طالب الماجستير .

وأصل التوحيد كلمة الإخلاص ثم سورة الإخلاص ، فأما كلمة الإخلاص فمعناها الخاص : مستغن عن كل ما سواه ومفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله ، ومعناها العام : لامعبود على الحقيقة إلا الله ، ولامعبود بحق إلا الله ولامعطي ولامانع ولامضر ولانافع إلا الله ، لأن نفع الآلهة المعبودة بالباطل عموماً يؤدي إلى تكذيب القرآن المؤدي تكذيبه إلى الكفر ، قال الله تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ وقال تعالى حكاية لقول المشركين : ﴿ وقالوا لاتذرن آلتهكم ولاتذرن وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً وقد أضوا كثيراً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لاتسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ وقال تعالى حكاية عن المشركين : ﴿ لو شاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ احتجاجاً بالقدر ، والإحتجاج بالقدر باطل فإن الله تعالى يفعل في ملكه ما يشاء ويقضي ما يريد ، لا راد لأمره ولامعقب لحكمه .

﴿ لايسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ فهو سبحانه وتعالى أراد كفر الكافر وخلقه فيه وقضاه عليه مع أنه لايرضى لعباده الكفر .

ومعنى لاإله العام أن تقول : لا أحد يجب له الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة والغنى المطلق والسمع والبصر والكلام وكونه قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً قبل وجود الكائنات ، إلا الله تعالى.

واعلم أن الله تعالى جعل لنا وجوداً مجازياً عامل فيه وجوده الحقيقي ، وهذا الوجود المجازي هو المعبر عنه بالعمر ، وقهرنا بالمماثلة لغيرنا لنعلم بذلك ضعف قوتنا ، وجعلنا مفتقرين إلى قيامه تعالى بمصالحنا لنعلم أنه تعالى خالقنا ومنشؤنا ، وركب أشخاصنا من جسد ونفس وروح لنعلم بذلك وحدانيته ، وجعل لنا قدرة مجازية لنستدل بها على قدرته الحقيقية

العاملة في قدرتنا المجازية ، وجعل لنا إرادة مجازية لنستدل بها على إرادته الحقيقية ، لنعلم أن لا إرادة لنا مع إرادته ، قال تعالى في حديث قدسي : (أريد وتريد ولايكون إلا ما أريد) وجعل لنا حياة مجازية لنستدل بها على حياته الحقيقية ، وأمدنا بالعقل السيلم لتكون له الحجة علينا ، ورتب عليه التكاليف ليظهر عدله وحجته علينا ، وأنه ليس بظلام للعبيد ، وألزم العقل التوفيق والخذلان ، فموفق ممدود ومخذول مطرود ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ وجعل لنا سمعاً مجازياً مغايراً لسمعه الحقيقي ولايكون إلا بجارحة وهو مختص بالأصوات منسوب إلى الجهات ، بخلاف سمعه تعالى فإنه سميع بغير جارحة سواء في سمعه السر والعلانية والقرب والبعد ، لايقرب إليه مكان دون مكان ولازمان دون زمان ، لايجري عليه زمان فهو خالق الأزمنة والأمكنة يسمع دبيب النمل على الحصى ويعلم السر وأخفى .

وجعل لنا أيضاً بصراً مجازياً لنستدل به على بصره الحقيقي القديم بقدم ذاته لابجارحة ولاموجة شعاع كأشعة الأبصار والموجودات ، وجعل لنا كلاماً مجازياً لايكون إلا بجارحة موصوفاً بالجهر والسر مفتقراً إلى الحروف والأصوات مغايراً لكلامه الحقيقي القديم بذاته ، ثم الكلام على ثلاثة أقسام :

١ - كلامه تعالى القائم بذاته وهو الحقيقي .

٢ - وخَلقي وهو الذي فَتَقَ عنه ألسنة خلقه .

٣ - وخارق وهو القرآن ليظهر به عجز خلقه عن الإتيان بمثله .

فسار على هذا المهيع فرق أهل السنة ، ميزوا بين الحقيقة والمجاز ، فهداهم بنوره إلى نوره ، فنسبوا الأسباب والمجاز إلى أنفسهم وأقروا بالعجز وقاموا مع الحكمة واستعملوا الأمر تأدباً مع الله تعالى وقَدَريَّة ضلوا عن المجازي وعموا عن الحقيقة ، فنسبوا التأثير لأنفسهم فزعموا أن الله خلقهم وهم خلقوا أعمالهم فأشركوا وضلوا ضلالاً بعيداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد عَموا وصموا عن فهم قوله تعالى :

﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾

وجَبرية لم يجعلوا لأنفسهم مع الله عملاً البتة ، بل هم كالقلم بيد الكاتب ، يسعد الله من يشاء منهم ويشقيه ، و إن عذبهم الله فليس بسبب أعمالهم ، إذ لا عمل لهم أصلاً فضلوا ضلالاً بعيداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وهذه الصفات التي تقدم ذكرها موجودة في كتاب الله تعالى ، ولذلك اكتفى بها السلف الصالح عما أحدثه أهل الكلام والجدل ، أما الوجود فبدليل قوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ . وأما القدم فبدليل قوله تعالى : ﴿ هو الأول ﴾ الذي لابداية لأوليته . وأما البقاء فبديل قوله تعالى : ﴿ والآخر ﴾ أي الدائم الوجود الذي لانهاية لبقائه وهو الظاهر الذي لايخفى كل موجود ظهوره ، لأنه الظاهر قبل كل شيء وبعد كل شيء وفي كل شيء ، ليس معه شيء ولا يشابهه شيء ولايماثله شيء ، وهو الدليل على كل شيء ، قال الجنيد - برد الله ضريحه - : -

« متى خَفَي حتى يستدل عليه بشيء ، وهو أظهر من كل شيء والظاهر قبل كل شيء ، والظاهر في كل شيء ، والظاهر بعد فناء كل شيء ، فالعارفون يستدلون به على المكونات ، والجاهلون يستدلون عليه بالمكونات ، وهو المكون لجميع المكونات ، والمتصرف في كل شيء والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت ، وهو الباطن على كل شيء فلا يدركه شيء ولايحيط بكنهه شيء ولايصف كنهه أحد » .

وأما مخالفته للحوادث فدليلها من كتاب الله :

﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ وأما قيامه بنفسه من الكتاب فقوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ أي القائم بنفسه الذي لايحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء ، وهو معنى الألوهية . قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ وأما دليل الوحدانية فقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ ليس له ند يعانده في الوجود ، ودليله أيضاً قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لَفَسَدَتَا ﴾ .

فلما لم يوجد الفساد اتضح نفي الشريك ، ويفسر هذه الآية ويزيد البرهان اتضاحاً قوله تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ .

وأما دليل قدرته من كتاب الله فقوله سبحانه : ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ ثم بالغ في قدرته بقوله : ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ فالمقتدر هو الذي لايعجزه شيء ولايتعاظم عليه شيء ، خلق السماوات والأرض بالنسبة إلى قدرته كخلق بعوضة ، ولما أنكر المشركون البعث رد عليهم سبحانه بما يفحمهم فقال عز من قائل : ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ وقال تعالى : ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن خلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ ، ودليل الإرادة من كتاب الله تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إن الله يفعل ما يريد ﴾ ثم يبين قهر إرادته لإرادتنا فقال : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ وهذه الآية مبطلة لمذهب المعتزلة .

وأما دليل العلم من كتاب الله تعالى فهو قوله : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو﴾ وقوله للملائكة : ﴿ إني أعلم مالا تعلمون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ وقوله : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ فيعلم سبحانه وتعالى جلي الأمور وخفيها وظاهرها وباطنها ومتقدمها ومتأخرها ويعلم ماكان وماهو كائن إلى يوم القيامة علماً محيطاً ليس بدءاً ولم يتقدمه جهل ولاتصاحبه غفلة ولاذهول ولانوم ولاسنة ، قال تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم ﴾ ، وهي صفة يجب لمن قامت به أن يتصف بجميع صفات الكمال وأما دليل السمع من كتابه العزيز فقوله تعالى : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ وهذه الآية مكذبة لمذهب المعتزلة المنكرين لسمعه وبصره القائلين : «إنما هو عبارة عن علمه » وأما دليل الكلام من كتابه العزيز فقوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى

تكليماً ﴾ وقوله : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ والمراد بكلام الله في هذه الآية الأخيرة القرآن الكريم ، وهي أيضاً مبطلة لكلام المعتزلة القائلين بأن القرآن ليس كلام الله محتجين في مذهبهم الفاسد بقوله تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ فإنه لاحجة لهم في ذلك لأن الآية إنما وردت رداً لقول المشركين إن القرآن قول كاهن أو قول بشر ، فرد عليهم بهذه الآية نفياً لما تقولوه ، والمراد بالرسول جبريل عليه السلام عن رب العالمين فهو كلامه المعجز الذي ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ وهذه الصفات كان متصفاً بها قبل وجود الكائنات ، فهو قدير قبل وجود المقدرات ، مريد قبل وجود المرادات ، عالم قبل وجود المعلومات ، حي قبل وجود الحيوانات ، سميع قبل وجود المسموعات ، بصير قبل وجود المبصرات ، متكلم قبل وجود المكونات .

وأما ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فهو أصل لكل الأصول بعد كلمة الإخلاص ، لأن سبب نزولها فلما قدم النبي ﷺ المدينة المنورة أتاه حَبر من الأحبار وعالم أهل الكتاب فقال له : يا محمد صف لي ربك ؟ فنزل عليه الروح الأمين بهذه السورة الجامعة لجوامع الكلم ، فارتضاها لنفسه وجعلها كافية في وصفه ، فقال :

﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هو الله أحد ﴾ فهو إشارة إلى الوجود القديم الذي لايشابهه وجود وليس معه وجود ، فالله هو الاسم الأعظم الذي تضاف إليه جميع الأسماء وليس يضاف إلى شيء منها لأنه اسم الذات الشريفة ، فـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تنفي الكثرة والعدد ﴿ الله الصمد ﴾ تنفي التشبيه والتمثيل والعلة والمعلول والنقص ﴿ لم يلد ﴾ تنفي الصاحبة والولد والمعين والوزير والمشارك في الأمر والمشير ﴿ ولم يولد ﴾ تنفي الحدوث والحلول وجميع صفات المكونات ﴿ لم يكن له كفواً أحد ﴾ تنفي الضد والند – ولو بسطنا القول فيها لاحتجنا إلى مجلدات – وعندما قرأها ﷺ على عبد الله بن سلام ، قال : أشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله .

فهذا توحيد السلف رضوان الله عليهم الذي ارتضاه الله تعالى لنبيه وبينه رسوله ﷺ لأمته وبشرهم الله تعالى بكماله فقال : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي

ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ لايعرفون عرضاً ولاجوهراً ولاسلبياً ولا معنوياً .

فلما مضى ذلك القرن الصالح ، ظهر التشيع والرنض والإعتزال فألبس الناس شيعاً ، وأول من نطق بالكلام وعلم الجدل المعتزلة والروافض طلباً للإستغناء بالعقل عما جاء به رسول الله ﷺ من التوحيد والعقد الصحيح الذي حمله عنه أصحابه فبلغوه تابعيهم ، حتى كادت المعتزلة أن تُميل عوام الناس عن صميم الحق فتصدى للرد عليهم إمام الحرمين حتى أفحمهم بدلائل الكتاب والسنة وتأييد الله له بحسن النظر والتوفيق للصواب والنهج القويم ، فتبرأت الأمة منهم .

قال الشافعي :-

« إذا سمعت الرجل يسأل عن الفَرْقِ بين الإسم والمسمى فاستدل بذلك على خراب باطنه وتبرئه من الحنفية السمحة ، فقد أغنانا الله تعالى بالمنقول عن المعقول » .

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه لما بلغه مذاهب المعتزلة من أهل الأهواء وجدلهم وما أحدثوه : -

« أشهد بضلالة هؤلاء ولئن ألقى الله تعالى بكل ذنب أحب إليّ من أن ألقاه بمذهب من مذاهب الجدل » . ولما أتاه حفص القرد ، وهو عند المعتزلة من أئمة المعقول وأرباب الجدل ، قال له مالك : ما حاجتك يا حفص ؟ قال له : أريد أن أناظرك في علم الكلام . قال له مالك : ما تريد بذلك ؟ قال له حفص : إن غلبتك اتبعتني ، وإن غلبتني اتبعك !! قال له مالك : وإن جاءنا ثالث فغلبنا !! قال له : اتبعناه ! قال : وإن جاءنا رابع فغلبنا ! قال له : اتبعناه ! ، قال له مالك : « تريد أن تكون كل يوم على دين جديد حتى تلقى الله ولادين لك ! أما أنا فعلى يقين من ديني وبصيرة من ربي ، أخذت هذا الدين غضاً جديداً عن التابعين بإحسان وأخذوه عن أصحاب رسول الله ﷺ فاتبعتهم فيما أخذته عنهم ، وهم اقتفوا أصحاب رسول الله ﷺ ما زاغوا وما بدلوا ولاغيروا ، وهم أخذوا دينهم عن رسول الله ﷺ غضاً جديداً اتبعوه فيما قال وفعل لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه حتى ألقوه إلينا ، ولم يمت رسول الله ﷺ حتى أكمل الله

دينه وأتم عليه وعلى أمته نعمته ، فلم تزل هذه الأمة على يقين من دينهم وبصيرة من ربهم ، حتى جئت أنت وأصحابك - لابارك الله فيكم - تريدون نقص الدين بعد تمامه وتشككون الأمة بعد اليقين والتمكين ، فاخرج صاغراً فلست من خليلك ولارَجلك ، ولست ممن تناظر فإنما أنت سفيه ولايغتر بقولك إلا سفيه ، ولو كنتم على حق وحقيقة لما أبغضتم أصحاب رسول الله ﷺ ولما بهتوهم بقول الزور وهم برآء من الظلم ، أتقياء عن الخيانة ، وهم أمناء وهم القدوة والأسوة ، وقد نص الله تعالى في كتابه العزيز أنه يغيظ بهم الكفار ، ولا أراكم إلا من الذين يغيظونهم ، قال الله تعالى في نعتهم والثناء عليهم : ﴿ يعجب الزراع ليغيظ بهم لكفار ﴾ وما أراكم تحاولون إلا هدم هذا الدين من قواعده ، أليس لكم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مقطع عن الخوض في الأباطيل وتحكيم العقول سفهاً من أحلامكم وطيشاً من عقولكم حتى شوشتم على عوام الأمة عقائدها أوكدتم ! » فخرج حفص صاغراً .

فهذه عقدة الشيخ التي كان يناقش طالب الماجستير !

ونكتفي بهذا القدر من كتاب المنّة .

مقتطف من كتابه

" الأجوبة الشافية في حقيقة التقوى "

أما مسألة التقوى الحقيقية فالجواب عنها أنها عين الولاية التي لايتوصل إليها إلا ولي مكاشف بتجليات الجلال ، فإذا كُوشف بها توحش من الخلق لاستأنسه بالحق ، فلا يبقى معه إلا الله ، لأنه يستحيل أن يستأنس بالخلق وقد استأنس بالحق ، لاستحالة جمع النقيضين ، إذ ماثَم إلا حق وخلق .

ويسمى هذا المقام عند الأولياء مقام الفناء لأنه يفنى عن مشاهدة الخلق بمشاهدة الحق ، قال ابن عطاء عند قوله تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ بلغني عن الصادق رضي الله عنه أنه قال : « وفداً ركباناً على متون المعرفة » ، قال جعفر :-

« المتقي الذي اتقى كل شيء سوى الله ، والتقي الذي اتقى متابعة هواه ، فمن كان بهذا الوصف فإن الله تعالى يحمله إلى حضرة المشاهدة على نجائب من نور ليعرف أهل المشهد محله فيه » .

قال السُلمي : -

قوله تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ « قال علي رضي الله عنه : أما إنهم لايحشرون على أقدامهم ولايساقون سوقاً ولكنهم يؤتون بنوق من الجنة لم ينظر الخلائق إلى مثلها ، رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعون باب الجنة ، وإنما سمي المتقون وفداً لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون ، فهم لايثبطون ولكنهم يجدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشرى كما في قوله تعالى : ﴿ وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ فيزيدهم ذلك إسراعاً وحق المتقين أن يسبقوا لسبقهم في دار الدنيا إلى الطاعات وتخليهم عن جميع الكائنات » .

واعلم أن درجتين لايُتوصل إليهما إلا بمحض فضل الله : مرتبة النبوة ، ومرتبة الولاية ، التي هي اتقاء كل موجود سوى الله الواحد المعبود ، وحقيقته أن لايعرج على شيء سوى الله

تعالى بحيث لاتأخذه في الحق لومة لائم ، فلا يحب إلا فيه ولايبغض إلا له ، ولايعمل إلا لوجهه ، ولايترك إلا لمنعه ، ولايقرب إلا فيه ، ولايبعد إلا لأجله ، ولاينفق نفقة صغيرة ولاكبيرة إلا لوجهه ، ولايَتَعلم مسألة علم إلا لوجهه ، بأن يعمل بها بمرضاته أو يرشد بها جاهلاً ليزيد في سواد الإسلام ، وينقذه بها من ربقات الضلال . فمن جاهد بما يعلم واجتهد وسع طاقته هداه الله إلى علم مالم يعلم من علوم الحقائق والحكم الربانية حتى يلهمه الله تقوى الحقيقة فتجذبه من دركات الخلق إلى مشاهدة الحق ، قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ فأول الأمر مجاهدة ومكابدة وآخره مشاهدة ومفاكهة ، فمن وصل إلى تقوى المشاهدة أوجب له ذلك أن يتقي كل ما سوى الله ، فيكفيه الله ماسواه فإذا كفاه الله ماسواه حصل على الذوق فإذا ذاق اشتاق إلى حضرة القدس ، فيجذبه الذوق عن كل شيء فيزهد في جميع الأكوان والمكونات فيذوق طعم المحبة ، فإذا ذاق طعم المحبة غرق في بحار الحب فيقع على قرة العين .

قال رسول الله ﷺ : « ... وجُعلت قرة عيني في الصلاة » ، وقال الله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين جزاء .. ﴾ وذلك في جميع الحالات لافي الجنة فقط ، فإن من لم تحصل له قرة العين بالله في الدنيا لم تحصل له في الآخرة لأنهما بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى سواء إذ لاشيء أقرب إليه من شيء إلا بتقريبه إياه . - إلى أن قال :

« وحقيقة التقوى أن تتطهر وتطهر ثيابك وباطنك من كل خاطر ثم تخلو بربك مستقبلاً صائماً مستحضراً الجلال والعظمة ، قائلاً في ابتداء أمرك مُمراً الخطاب الأزلي على طود نفسك قائلاً : فاعلم أنه لاإله إلا الله ، ثم تقول : لبيك اللهم وسعديك والخير كله بيديك عبدك الضعيف بين يديك متعرضاً لنفحات فضلك معولاً في إصلاح حاله عليك ، قائلاً امتثالاً لأمرك وتحقيقاً لتفريدك وتوحيدك :

لا إله إلا الله ، ناوياً بالنفي نفي الشكوك والأوهام وظلمات الطبع والنفس والهوى ، وبالإثبات إثبات كلمة الإخلاص في سُويداء قلبك مستحضراً عند (اللهم) بها : أنه لامعطي ولامانع ولاضار ولانافع إلا الله تعالى لأن ذلك يصيِّر الكائنات عدماً كما كانت ويبقى من

لايزال كما لم يزل ، وتلك حقيقة التقوى لأنك إذا حققت أن الأكوان جميعها لاتقدر أن تنفعك بشيء لم يُقدره الله لك ، انعدم نظرك النفع منها ، ويبقى نظرك إليه من الله .

ثم إذا حققت أنهم لايقدرون على نفعك كما لايقدرون على ضُرك ، فمن لم يقدر على تحصيل نفع ولادفع ضر ولاعلى أن يضر فهو عَدَمٌ والمتعلق بالعدم عدم ، والعطاء تابع للنفع يوجد بوجوده وينعدم بعدمه ، وقد انعدم في يقينك نفع المخلوقات فينعدم العطاء بانعدامه لأنه موجب النفع والمنع ، تابع للضر فإذا لم يقدروا على ضرك ، فإنهم لايقدرون على دفعه عنك ، وجب أن لاتسأل الجميع إلا من الله ولاتعول إلا عليه وذلك عين التقوى ، فتقول :

لاضار ولانافع ولامعطي ولامانع إلا الله ، ثم ينظر بعد ذلك إلى السوابق واللواحق وهما ليسا إلا من الله تعالى فليس لمخلوق فيهما حيلة ، فمن امتلأ قلبه بصور المحسوسات لو قال لا إله إلا الله ألف مرة قل ما يشعر قلبه بمعناها واستشعار عظمتها ، وإذا فزغ القلب عن غير الله فإنه لو قال مرة واحدة « الله » لوجد من اللذة مالايستطيع اللسان وصفه » .

قال الشيخ عبد الرحمن القتاوي :-

« قلت مرة : « الله » فانعدم الكون فلست أرى حينئذ وجود موجود غير الله تعالى حتى غبت عن نفسي حيناً ثم تراجعت » .

ورُوي أنه كان في تيه بني إسرائيل عبد أسود فكلما قال : لا إله إلا الله ابيض من رأسه إلى قدميه وغشيه نور ، فلهذه الكلمة للعبد من الحقائق إذا أزال الله عنه الحجب ومشاهدة الأحوال القلبية مالايعبر عنه اللسان ولايقوم به جنان فحظ العبد من هذا الاسم التأله واستغراق القلب والهمة بالله فلا يرى غيره ولايلتفت إلى سواه وكيف لايكون ذلك وقد فهم من هذا الإسم أنه الموجود الحقيقي الذي لاموجود على الحقيقة سواه ، قال سهل : -

« من صحح إيمانه وأخلص توحيده ، فإنه لايأنس إلى مبتدع ولايجالسه ولايؤاكله ولايشاربه ولايصاحبه ، ويُظهر له من نفسه العداوة والبغضاء ، ومن داهن مبتدعاً سلبه الله حلاوة السنن ، ومن تحبب إلى مبتدع يطلب عز الدنيا أو عرضاً منها أذله الله بذلك العز ،

وأفقره بذلك الغنى ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ، قال : ومن لم يصدّق فليجرب » .

نصَّ عليه السلمي ، قال النووي :-

« إذا أشرقت شمس الأوصاف عليك ظهر فيك من الغنى والعز والقدرة والقوة ما يقتضي أن العالم كله في قبضتك ، وإذا ردك إلى حدودك ظهر عليك من الفقر والذل ما يوجب تلاشيك ، فإن كنت تام العبودية أعطيت كل محل حقه كما فعل رسول الله ﷺ وهو العارف الكامل ، إذ شد الحجر على بطنه افتقاراً إلى الله ، وأطعم ألفاً من صاع إظهاراً لغناه بالله .

واعلم أن التقوى في القرآن يطلق على ثلاثة أشياء :-

- يطلق على الخشية والهيبة كما في قوله تعالى : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ وقوله ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ .

- الثاني : إتيانها بمعنى الطاعة ، نحو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ قال ابن عباس : « وذلك بأن يُطاع فلا يُعصى ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر ».

- الثالث : إتيانها بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهي الحقيقة ، ألا ترى أن الله تعالى يقول : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتَّقْه فأولئك هم الفائزون ﴾ لأن الله تعالى ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فبان بذلك أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهو تنزيه القلب كما ذكرت ، وذلك بحيث ينزهه أن تخطر عليه همة بارتكاب معصية كائنة وهذا محل الحب والإجلال ، قال الشاعر :-

تَعصي الإله وأنت تُظهرُ حُبه   هذا لعمري في القياس بَديعُ

لو كان حُبك صادقاً لأطَعتَه   إن المحب لمن يحب مطيع

ثم اعلم أن منازل التقوى ثلاث :-

تقوى عن الشرك ، وتقوى عن البدعة ، وتقوى عن المعاصي الفرعية ، ولقد جمع الله

الأقسام الثلاثة بحكمته في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ﴾ فالتقوى الأولى عن الشرك ، والإيمان في مقابلة التوحيد ، والتقوى الثانية عن البدعة ، والإيمان الذي ذكر معهما إقرار السنة والجماعة اعتقاداً والعمل بها ، والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية ولا إقرار في هذه المنزلة فقابلها بالإحسان وهو الطاعة والإستقامة عليها ، فالآية جامعة لذكر المنازل الثلاثة : منزلة الإيمان ، ومنزلة السنة ، ومنزلة الإستقامة .

وفي المورد العذب للدينوري ما نصه قال :-

« واعلم - وفقني الله وإياك - أن للتقوى جوالبَ ثلاثاً تنقسم عليها أنواع التقوى :-

- فجالب تقوى العاملة الخوف ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ الآية .

- وجالب تقوى الخواص المحبة ، كما في قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ .

- وجالب تقوى خواص الخواص : العظمة والإجلال والهيبة كما في قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ففروا إلى الله ﴾ والفرار هنا منه إليه ، أي من هيبته وإجلاله إلى رحمته وكماله ، واعلم أن للتقوى بداية ونهاية ، فبدايتها اتقاء الشرك شرعاً وعادة وحقيقة ونهايتها الورع التام ولذلك قال صاحب القوت :-

« معنى التقوى ينسحب على اجتناب فضول الحلال وهو نهايتها في حق العامة ، وأما في حق الخاصة وخاصة الخاصة فنهايتها اجتناب ما سوى الله ، وفي الخبر المشهور عن النبي ﷺ أنه قال : « إنما سمي المتقون متقين لتركهم مالابأس به حذراً لما به بأس » فيكون حداً جامعاً ومعنى بالغاً ، روي أن عمر رضي الله عنه قال :-

« إني لأجتنب سبعين باباً من الحلال مخافة أن أقع في الحرام » فعلى هذا يكون معنى التقوى اجتناب كل ما تخاف منه ضرراً في دينك ، أما ترى أنه يقال للمريض (المُحتَمِي) أنه

يتقي إذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من طعام أو شراب أو فاكهة ، ثم الذي يخاف منه الضرر في أمر الدين قسمان : -

- مَحضُ الحرام .

- وفضول الحلال .

لأن الإشتغال بفضول الحلال والإنهماك فيه يستجلب صاحبه إلى ارتكاب الحرام ومحض العصيان ، وذلك لشره النفس وطغيانها ، وتمرد الهوى وعصيانه .

فمن أراد أن يأمن الضرر في أمر دينه اجتنب الخطر فامتنع عن فضول الحلال حذراً أن يجره إلى محض الحرام كما ورد عنه ﷺ أنه قال : « من أراد أن يبرأ لدينه فليترك مالا بأس به حذراً لما به بأس » .

فإنه ما ترك السلف الصالح فضول الحلال إلا مخافة الوقوع في الشبهة أو الحرام ، فبان من هذا أن التقوى البالغة الجامعة هي الحاملة على اجتناب كل مافيه ضرر لأمر الدين أو يجر إليه أو يخاف منه .

ثم اعلم أن حقيقة التقوى ما وقاك من كل شر ، ثم الشر ضربان :-

- شر أصلي : وهو مانُهي عنه تحريماً كالمعاصي المحضة .

- وشر غير أصلي : وهو مانهي عنه تأديباً كفضول الحلال المأخوذة لأجل الشهوات .

فالأولى تقوى يلزم بارتكابها عذاب النار ، والثانية تقوى تخيير وأدب يلزم بارتكابها الحبس وطول الحساب والتعيير واللوم وشدة العتاب ، فمن أتى بالأولى فهو بالدرجة الدنيا من التقوى ومن أتى بالأخرى فهو بالدرجة العليا من التقوى ، وإذا جمع العبد بينهما على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها ، وهذه حقيقة الورع الكامل الذي هو ملاك أمر الدين وصلاحه ، كما قيل :-

« صلاح الدين الورع وفساده الطمع » .

واعلم أن من الأمور المصلحة للتقوى التي لاصلاح بدونها : الجليس الصالح ، كما ورد

في الخبر أنه ﷺ قال : -

« مثل الجليس الصالح وجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يعطيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة » صدق رسول الله ﷺ » .

إلى أن قال : « ولاتكون التقوى تقوى ، حتى تكون حالاً للعبد وطبعاً فيه ، لاتنتقص بسبب ، ولاتزيد بطلب ، كما يدل على ذلك حديث النبي ﷺ المخرج في الترمذي ، قال : قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : كنت رديف رسول الله ﷺ فقال : يا غلام ، فقلت : لبيك يا رسول الله فقال : ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فقال : احفظ الله يحفظك ، احفظه تجده أمامك ، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة .. الخ».

جذوة الأنوار في تعريف أولياء الله الأخيار

قال تعالى : ﴿ ألا إن أوليـاء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ اعلم أيها الأخ الناصح والمحب الفاصح أنا نحتاج في تفسير هذه الآية إلى تفسير من يستحق الولاية وهو الولي .

قال ابن عباس رضي الله عنهما :-

« هم الذين يذكر الله برؤيتهم » كما أخرجه الطبراني بسنده عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : « سُئل رسول الله ﷺ عن أوليـاء الله من هم ؟ فقال : هم الذين إذا ذكر الله ذكروا » .

وقال زيد : « هم الذين آمنوا وكانوا يتقون » ولن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى ، وذهب قوم إلى أنهم المتحابون في الله ، كما يدل عليه ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن من عباد الله أناساً ماهم بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله عز وجل ، قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لايخافون إذا خاف الناس ولايحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية ﴿ ألا إن أوليـاء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ :-

« يقول الله تبارك وتعالى يوم القيام : أين المتحابون فيَّ بجلالي ، اليوم أظلهم يوم لاظل إلا ظلي » أخرجه مسلم من حديث معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «المتحابون من أجلي لهم منابر من نور ، يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة ، قال : وفي ناحية القوم أعرابي فجثا على ركبتيه وأومأ بيده ، ثم قال : يا رسول الله من هم ؟ حدثنا عنهم ؟ قال : فرأيت في وجه رسول الله ﷺ البشرى ، فقال : هم عباد من عباد الله ، من بلدان شتى وقبائل شتى لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها ، ولادنيا يتبادلونها

يتحابون بروح الله ، يجعل الله وجوههم نوراً ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولايفزعون ويخاف الناس ولايخافون » .

وفي حديث قدسي يُروى عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى « إن أولياءَ من عبادي يُذكرون بذكري ، وأذكرهم بذكرهم » رواه البغوي بغير سند ، قال الفضيل ابن عياض :

« حقيقة الولي من تولى الله أمره وطرد عنه شيطانه وملكه نفسه ولم يسلطها عليه ، إلى أن قال : فهو حجة الله في أرضه والقائم بسنته وفرضه ، ثم يستشهد بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الولي في قومه كالنبي في أمته » ويستطرد قائلاً : فالأنبياء حجج الله والأولياء أنصار الله ﴿ قال عيسى بن مريم من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

وقال أبو بكر الأصم : « أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية والدعوة إليه ، وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة ، فولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بما افترض عليه ، مشتغلاً بالله مستغرق القلب في نور معرفته وجلاله ، فإن رأى ، رأى دلائل قدرته ، وإن سمع ، سمع آياته وإن نطق ، نطق بالثناء عليه وإن تحرك تحرك في طاعته وإن اجتهد ، اجتهد فيما يقر به إليه لايفتر عن ذكره ولايرى قلبه غير ربه . فهذه صفة أولياء الله تعالى وإذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه ، قال الله تعالى في حديث قدسي : « لايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » .

والمعنى أنه يكون في نصرته واجتبائه أقرب إليه من سمعه وبصره ويده ورجله ، كما يشهد لذلك قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » وقال تعالى في صفتهم : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ .

وهو أن يؤمنوا بالله إيماناً لايخافون فيه لومة لائم حتى لايخشون غير الله فيعبدونه لجلاله وعظمته وكبريائه وأنه مستحق لذلك منهم ، لكونهم عبيداً وهو خالقهم ، قال الله تعالى :

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فحينئذ يستوجبون كون الله مدافعاً عنهم ، قال الله تعالى : ﴿إن الله يدافع عن آمنوا﴾ وقال في حديث قدسي : « لايعتمد عليَّ عبد من عبادي أعلم ذلك من نيته فيكيده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من أمره فرجاً ومخرجاً ، ولايعتمد على غيري - أعلم ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من دونه ».

فهو المراد بالإيمان في هذه الآية الشريفة ، ومعنى قوله : ﴿وكانوا يتقون﴾ جميع ما نهى الله عنه سواء كان النهي جازماً أو غير جازم ، بل ويتقون سفاسف الأمور ، قال الرسول ﷺ : « إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويبغض سفاسفها » وحتى يبقى الكون بالمكون ، وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا﴾ ثم أخبر بما شرفهم به فقال : ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ فهم في ذلك على مراتب علي قدر مقاماتهم ودرجاتهم عند الله ، روى عبادة بن الصامت قال : « سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ قال : هي الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له » أخرجه الترمذي .

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لم يبق بعدي من النبوءة إلا المُبَشِّرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة » . أخرجه البخاري ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوءة .

ومنهم من يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله تعالى فهو في جميع حالاته مع الله تعالى ، ومن كان كذلك فإنه عند النوم لايبقى في قلبه غير ذكر ربه ومعرفته والمعروف أن معرفة الله في القلب لاتفيد إلا الصدق والحق ، فإذا رأى الولي الرؤيا أو رُئيت له ، كانت تلك الرؤيا بشرى من الله تعالى ، وقد تكون البشرى في الحياة الدنيا الثناء الحسن ، وفي الآخرة الجنة ، كما يدل عليه ما رُوي عن أبي ذر قال : « قيل لرسول الله ﷺ : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ، قال : تلك عاجل بشرى المؤمن » . أخرجه مسلم .

وربما كان معنى هذه البشرى عمله بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة في الآخرة تقول

﴿ بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ وهذه البشرى المعجلة دليل على حب الله لهم وتحبيبه إياهم إلى خلقه ، كما قال : « ثم يوضع له القبول في الأرض » ، وهذا إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم ، وإلا فالتعرض مذموم ، قال الزهدي وقتادة :-

« هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ، كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة من الله وفي الآخرة عند خروج روح المؤمن من حين يعرج بها إلى الله تعالى ، فيبشره برضوانه » وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أخلص لله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه » أخرجه الترمذي .

وقوله ﷺ : « ليس العلم بكثرة الروايات ، وإنما العلم نور يضعفه الله في قلب من يشاء من عباده » ، وقال : « إن أبا بكر لم يفضلكم بصلاة ولابكثرة الصيام ولكن بشيء وقره الله في صدره ، ألا وهو النور ، ثلاثاً » .

وكما يؤيده قوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ ، قال ابن عباس :-

« الحكمة : الفتح في كتاب الله تعالى ، بحيث يميز بين ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره لتضمن القرآن الحكمة » . وقال « في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة ، وألف آية حلال وحرام ، لايسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ، وإلا يكونوا كأهل النهرواني - يعني الخوارج - ، تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة ، وإنما نزلت في أهل الكتاب ، فجهلوا علمها ، فسفكوا بها الدماء ، وانتهبوا الأموال ، وشهدوا على أهل السنة بالضلالة ، فعليكم بعلم القرآن ، فإنه العلم الذي لايترك جهلاً ولاارتياباً » ، ومن الحكمة الإصابة في القول والفعل ومعرفة الأشياء بذواتها مع توفيق الله وتسديده واستشعار

الورع في إقدامه وإحجامه .

كما في قوله تعالى : ﴿ وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ يعني أهل المعرفة بالله تعالى .

روى أبو نعيم من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينادي مناد من بطنان العرش : أين أهل المعرفة بالله ؟ أين المحسنون ؟ فيقوم صنف من الناس حتى يقوم بين يدي الله تعالى ، فيقول - وهو أعلم - : من أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل المعرفة بك الذين عرفتنا إياك وجعلتنا أهلاً لذلك ، فيقول : صدقتم ، ما عليكم من سبيل ادخلوا الجنة برحمتي . ثم تبسم رسول الله ﷺ وقال : لقد نجاهم الله من أهوال يوم القيامة » .

قال ابن عباس :-

« من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون : الحمّادون » .

* * *

وشرع الشيخ سدي المختار رحمه الله يبين صفتهم - أي الحمادون - ويستدل بالآيات والأحاديث إلى أن قال :

ولما كانت الكرامات من الله بالبشرى العاجلة دليل على صدق الولي ، وتثبيت للمبدء الخاص ينبغي لصاحب الكرامة أن لايلتفت إليها ولايعول عليها ولايغتر بها ، لأن ذلك مما يخل بإخلاصه بل يكون قادحاً في إخلاصه ، ورُوي عن أبي مدين أنه قال :-

« الملتفت إلى الكرامة كعابد وثن ؛ فإنه إنما يصلي ليؤتى الكرامة ، والمراد أنه لايكون قصده بالطاعة نيل الكرامة بل إنما ينبغي له أن يكون مخلصاً في عبادته لخالقه لايبتغي عوضاً ، ثم إن أكرمه الله بكرامات أوليائه حمد الله سبحانه على ذلك لأنها تدل على استقامته ، فيرى المنّة لله سبحانه ويتبرأ من رأيه وحوله وقوته ويحتقر نفسه ويرى أنها ليست أهلاً للكرامات لولا تفضل المولى عليه .

واعلم أن أعظم الكرامات الإستقامة على منهاج الكتاب والسنة وما درج عليه سلف هذه

الأمة ، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :-

﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ وقال لحبيبه محمد ﷺ :-

﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ فبان من هذا أنها أجل الكرامات وأشرف المعجزات وأعلى المقامات . قال ابن عباد :-

« ما ظهر للعبد من الكرامات ، فإن وجه الأدب مع مبديها إليه أن لايطمئن إليها ولايعول عليها بل تكون همته متعلقة بما وراء ذلك من المعارف والرضوان ، قال تعالى : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ .

ولهذا قالوا : « كن طالب الإستقامة لاطالب الكرامة فإن نفسك تطالبك بالكرامة ومولاك يطالبك بالإستقامة ، وشتان مابين ماهو طالبه منك وبين ماهي طالبته منك » .

وفي الحكم : « تشوقك إلى ما بطن فيك من العيوب ، خير من تشوقك إلى ما حُجِبَ عنك من الغيوب » . وفي الرسالة القشيرية : « ظهور الكرامة علامة على صدق من ظهرت عليه في أحواله لكن يجب سترها وإخفاؤها ، وإن الولي لايدعيها ولايقطع بكونها كرامة لجواز أن تكون مكراً واستدراجاً وامتحاناً من الله في سكونه إليها وقصور همته عليها » .

وقد اكتفينا بهذا القدر من كتاب جذوة الأنوار .

وهذه إحدى خطبه التي كان - رحمه الله - يخطب بها في بعض الأعياد ثم يتبعها بخطبة تخص يوم عيد الأضحى أو عيد الفطر

الله أكبر ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً .. الحمد لله ذي العزة والجلالة العظيم بغير جسم ولاشكل ولاخيال ، الكبير الذي لاتدركه الأبصار بحال ، المنزه عن الجواهر والأعراض وتغيرات الأحوال ، المقدس عن أن يجري عليه زمان ، بل هو الدائم الباقي أبداً كما كان سبحانه وتقدس عن الألوان والأكوان ، بل هو القاهر فوق عباده من غير جهة ولا أوان ، المنزه عن المباني وأجناس المعاني ومعاناة الأقران ، وعن الأزواج والأولاد والوزراء والأعوان ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ حياته كاملة لاتحد بحركة ولاسكون ، أحمده والحمد واجب لذاته وأشكره والشكر واجب لصفاته ، وأوحده وأُحَدِّثُهُ عين كمالاته ، وأقدسه والتقديس جماع جلالاته ، وأصلي على خيرته من خلقه وعلى آله وصحابته وأسلم عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وجميع أهل طاعته .

الله أكبر ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً ...

أيها الناس : اعلموا أن دنياكم هذه دار كثرت بوائقها ، وذمها خالقها ، يشقى بصحبتها معانقها ويسلبها أحوج ما يكون إليها عاشقها ، ويسعد في الدارين مبغضها ومفارقها ، عجوز شوهاء سوداء خَبٌ تسترت بزخارف الغرور ، غدارة غرارة مكارة ظواهرها سرور ، وبواطنها ويل وثبور .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ فتزودوا منها وعدّوها ميداناً للعبور ، فإنها إنما خلقت للتباب والثبور ، فليس بعد سكنى القصور إلا سكنى القبور ، وليس وراء ركوب الصافنات الجياد إلا ركوب الصخور ، تعلوك وأنت تحتها ملحود ، تسفي عليك الريح وتمشي على حُرِّ وجهك الجنادب والدود ؛ أصبحت لها قوتاً بعدما كنت موصوفاً بأنواع السعود ، نسي قولك وأمن صولك بعدما كنت ترعد هيبة منك جميع الحشود ، ووسمت بالذلة وقد كان الناس يطأون عقبك بالمزامير والبنود ،

وهذه إحدى خطبه التي كان - رحمه الله - يخطب بها في بعض الأعياد ثم يتبعها بخطبة تخص يوم عيد الأضحى أو عيد الفطر

الله أكبر ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً .. الحمد لله ذي العزة والجلالة العظيم بغير جسم ولاشكل ولاخيال ، الكبير الذي لاتدركه الأبصار بحال ، المنزه عن الجواهر والأعراض وتغيرات الأحوال ، المقدس عن أن يجري عليه زمان ، بل هو الدائم الباقي أبداً كما كان سبحانه وتقدس عن الألوان والأكوان ، بل هو القاهر فوق عباده من غير جهة ولا أوان ، المنزه عن المباني وأجناس المعاني ومعاناة الأقران ، وعن الأزواج والأولاد والوزراء والأعوان ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ حياته كاملة لاتحد بحركة ولاسكون ، أحمده والحمد واجب لذاته وأشكره والشكر واجب لصفاته ، وأوحده وأُحَدِيَتُهُ عين كمالاته ، وأقدسه والتقديس جماع جلالاته ، وأصلي على خيرته من خلقه وعلى آله وصحابته وأسلم عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وجميع أهل طاعته .

الله أكبر ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً ...

أيها الناس : اعلموا أن دنياكم هذه دار كثرت بوائقها ، وذمها خالقها ، يشقى بصحبتها معانقها ويسلبها أحوج ما يكون إليها عاشقها ، ويسعد في الدارين مبغضها ومفارقها ، عجوز شوهاء سوداء خَبٌ تسترت بزخارف الغرور ، غدارة غرارة مكارة ظواهرها سرور ، وبواطنها ويل وثبور .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ فتزودوا منها وعدّوها ميداناً للعبور ، فإنها إنما خلقت للتباب والثبور ، فليس بعد سكنى القصور إلا سكنى القبور ، وليس وراء ركوب الصافنات الجياد إلا ركوب الصخور ، تعلوك وأنت تحتها ملحود ، تسفي عليك الريح وتمشي على حُرِّ وجهك الجنادب والدود ؛ أصبحت لها قوتاً بعدما كنت موصوفاً بأنواع السعود ، نسي قولك وأمن صولك بعدما كنت ترعد هيبة منك جميع الحشود ، ووسمت بالذلة وقد كان الناس يطأون عقبك بالمزامير والبنود ،

تمحى محاسنك كل يوم وذنبك ثابت في صحيفتك معدود ، سلبت أموالك وزوجاتك وأنت في جميع ذلك غير محمود ، ينفقه غيرك فيثاب عليه وحسابه عليك مردود ، هذا حديث جمعته من حلال وإلا فعقابه عليك لايزال ممدود ، في حفرة من حفر النار والباب عليك مسدود ، وقد غلقت يداك إلى عنقك وأثقلت رجلاك بالقيود ، وقد وكلت بك ملائكة غلاظ شداد في أمد غير محدود ، نزعت منهم الرأفة والرحمة ، فطس صم أصواتهم كالرعود ، يلازمونك بأنواع العذاب إلى اليوم الموعود ، فيأخذون بناصيتك والكرام عليك بفضائح أعمالك شهود ، فينادى عليك بالخزي والهوان ، بين يدي الملك الديان ، فيطمس وجهك ويؤمر بك فتلقى مذؤوماً مدحوراً في سواد النيران ، هذا وغضب الجبار أدهى وأمر ، وسخطه أعظم وأكبر ، في يوم تبلى فيه السرائر ، ويكشف فيه عن خفيات الضمائر ، ويفحص عن الجرائر ، من الكبائر والصغائر ، ويقول المجرمون : ﴿ ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها ﴾ واشتد الخوف والقلق وتزايد الهول والفرق ، وضاق الخناق وألجم جميع الناس العرق ، وجيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زماما ، وقد عاينوا أهوالاً عظاماً ، فتضاغط الخلق عند ذلك زحاماً ، وبرق البصر وطاشت الألباب غراماً ، وطمست وجوه المجرمين وازدادوا هياماً ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾ وتراكمت الظلمات فلا قمر ولاشمساً ، وسعد عند ذلك الصالحون فلا يخافون هضماً ولابخساً ، وخسر هنالك المبطلون فترى أبصارهم زرقاً وبصائرهم رمساً ﴿ مقنعي رؤوسهم ﴾ وقد عاينوا خسراناً وتعساً .

الله أكبر ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً ...

أيها الناس : اعلموا أنه لادار لكم بعد هذه الدار إلا الجنة أو النار وقد نبه على ذلك في محكم تنزيله العزيز الجبار ، فقال :-

﴿ وهو الذي يعلم السر والنجوى ﴾ ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ﴾ فاعملوا للفوز والخلاص قبل الأخذ بالنواص ، فيقول المجرمون : أين المفر ؟ فينادى : ولات حين مناص ،

فيلقون في سواد الجحيم طعامهم الضريع والزقوم ، وشرابهم الغسلين والحميم ، ﴿ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴾ فإذا أذلقهم العذاب الشديد ، قالوا : يامالك ليقض علينا ربك ، فيجيبهم بعد أمد مديد : إنكم ماكثون .

فيبكون بالقيح والصديد ، بعد نفاذ الدم والدموع ، فيستغيثون ربهم بالذلة والضراعة والخشوع ، فلا يجيبهم إلا بقوله ﴿ اخسئوا فيها ولاتكلمون ﴾ فيختم على أفواههم فلا ينبسون إلا بالنباح والشهيق والزفير في سواد الظلمات والنتن وحرارة الزمهرير ، فلا يُرحم بكاؤهم ولايُسمع دعاؤهم وهم يتقلبون بين دركات السعير ، فالويل كل الويل لمن فرط في الأيام الخالية حتى فاته دخول الجنة العالية ، في جوار الرحمن يطوف به الولدان والحور الحسان ، والملائكة الكرام يحيونه بالسلام في كل أوان ، يقولون ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ يغادونهم بالتحف والخلع السنية من حضرة الملك الجبار ، فيزورون ربهم في كل جمعة وعيد بدار القرار ، على نجائب من نور تطير بهم بين البساتين والأنهار ، وتغشاهم أنوار الجلال ، فهم في سكرة الذوق غائبون ، حتى إذا لاطفهم بالخطاب صحوا فهم في خمرة المشاهدة هائمون ، قد نسيت الجنة وما فيها لقرة أعينهم بمحاضرته فهم سامدون ، لايبغون بمحاضرته بدلاً كيف؟ وتلك بغيتهم وما يشتهون لمثل هذا فليعمل العاملون ، وفيه فليتنافس المتنافسون ، فطوبى لمن أخر الأمل وقدم العمل ولازم الحزم وجانب الفشل والكسل ، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني فبادروا قبل الموت ، وسارعوا قبل الفوت ، فكأن قد ، ولايغرنكم التسويف فتكونوا من الغافلين ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ .

فجدوا ما دامت حبالكم ملقاة على غواربكم قبل أن يؤخذ بالكظم فلا ينفع التحسر حينئذ ولا الندم ، ففروا من الله إليه ، ولاتعولوا في جميع مطالبكم إلا عليه فإنه يقول :-

﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ فلا تسألوا إلا رفده فإنه القاهر فوق عباده ، والحكم العدل في بلاده ، لامرد لقضائه ولامانع لعطائه ﴿ لايسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ فالجن والإنس

والأشكة تحت سوط قهره خامدون ، قد عنت له وجوههم ، وذلت له رقابهم ، فهم بأمره عاملون .

ونكتفي بهذا القدر من هذه الخطبة التي تمزق القلوب والأكباد .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من الشيخ سيدي المختار الكنتي إلى حكام وقضاة تمبكتو :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أحمد مقيم أود الدين ، بإرشاد المرشدين المسددين ، واجتهاد المجتهدين المجددين ، والصلاة والسلام أبد الآبدين على قدوة المقتدين المهتدين المؤيدين ، أدل الأدلاء ومنجد المنجدين، إمام الأنبياء، وختم خاتم المرسلين الأمجدين ، مستأصل شأفة المعتدين ، ومقتلع صمغة الملحدين ، وعلى آله وصحبه الغر المهتدين وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وإنه من المختار بن أحمد بن أبي بكر إلى جماعة الإخوان ، المتهاونين بأعز الأديان المراهنين في الأخذ على أيدي مفلسي الشيطان ، وحلفاء الإمتهان ، وهاتكي حرمة الإسلام وأهله ، والساعين في اجتثاثه من أصله عموماً ، وخصوصاً القائد أبا بكر بن الباش أحمد ، ويوتي بن القائد علي ، والقائد الأجل المصان : سيدي عبد الرحمن الشريف النقي الأردان ، الحالي حلية الإحسان ، الخالي من حصة النقصان ، الأرضى المرتضى : سيدي زيان ، بالسلام الخاص العام ، والتحية الرافلة في حلة الإكرام ، المشفعة بمزيد المبرة والإعظام ، وبحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، والنصيحة المتعينة لله ولرسوله ولكتابه ولخاصة المسلمين وعامتهم ، وإن كانت تختلف باختلاف أحوالها ؛ فالنصح لله تعالى هو وصفه بماهو أهله وتنزيهه عما ليس بأهله عقداً وقولاً ، مع القيام بتعظيمه والخضوع له ظاهراً وباطناً ، والرغبة في محابّه ، والبعد عن مساخطه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، والمجاهدة في رد العصاة إلى طاعته ، قولاً وفعلاً وإرادة ، والنصيحة لكتابه بإقامة تلاوته ، وتحسين قراءته ، وتفهم مافيه ، والعمل بمقتضاه ، والنصيحة للرسول ﷺ بموازرته ونصرته والحماية دونه حياً وميتاً ، وإحياء سنته بالطلب ، وطريقته ببث الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بأخلاقه الطاهرة ، والنصيحة للأئمة

بمعاونتهم على ما كلفوا القيام به مع تنبيههم عند الغفلة ، وإرشادهم عند الهفوة ، وتعليمهم ماجهلوا ونصرهم في جمع الكلمة عليهم ، وللعلماء بالتبجيل والإعظام والطاعة والاحترام ، والنصيحة لعامة المسلمين بالشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم وتفريج كربهم ، ودعوتهم إلى ما يسعدهم والأخذ على أيديهم دون ما يرديهم ، وهو معنى حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إن الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولخاصة المسلمين وعامتهم » .

وقال أبو الدرداء :-

« العلم يناله البر والفاجر ، والحكمة ينطق بها البر والفاجر ، والنصيحة لله تعالى لاتثبت إلا في قلوب المخبتين الذين صحت عقولهم وصدقت نياتهم » .

فلتعلموا إخواننا ، أن جرعة النصيحة مرة لايقبلها إلا أولو البصائر السليمة والعزائم المستقيمة ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « رحم الله امرءاً أهدى إليّ معايبي» ، وقال ميمون بن مهران :-

« قال لي عمر بن عبد العزيز : قل لي في وجهي ما أكره ، فإن الرجل لاينصح أخاه ، حتى يقول له في وجهه ما يكره » .

فالنفوس مستثقلة للنصح ، نافوه عن أهله ، مائلة إلى ما وافق هواها ، ومن الحكمة : ودك من نصحك وغشك من مشى في هواك ، ويقال : « أخوك من احتمل نصيحتك » وإن من واجب نصيحتكم علينا وأكيد مايجب لكم علينا ، إعلامكم أن الله تعالى حد حدوداً وشرع شرائع وأقام فرائض وسن سنناً وهي عن حدود ورسوم ، وقدر في كل خطة عند مخالفة أمره فيها حداً محدوداً ، ونهى أن يتجاوز ذلك الحد فلا يقدم لأمر من أمور الدين من لم يكن له بأهل ، ولايقر له أن تصدر له ، ألا ترى أن الله تعالى أمر رسوله بإنزال الناس منازلهم ، وأمر ﷺ بوضع الأشياء مواضعها ، فمن رأيناه تعدى الحد المحدود له ، حكمنا عليه بالعدوان ، وألزمناه الحد المقرر له ، وإنه لمن أشعر شعائر الإسلام ، وأشرف قواعد دين أشرف الأنام : إقامة

الصلاة التي هي عماد الدين ، وشعار المسلمين ، وقد عين لها شرعاً من يقوم بها ويصلح لها ، حيث قال ﷺ :-

« اجعلوا أئمتكم خياركم ، فإنهم شفعاؤكم » كذا أخرجه السيوطي في جامعه .

فالعدول عنه إلى من ليس أهلاً لها ، خروج عن الشريعة السمحاء ، ودخول في حيز البدعة والإعتداء ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ كيف لا ؟ وهم شفعاء إلى الله تعالى ولايستشفع لله تعالى بغير وجيه لديه ، ومن ليس أهلاً للإمامة لايكون مقبولاً فضلاً عن أن يكون وجيهاً ، فتعين عزله ، وإقامة من يغلب على الظن قبوله مقامه ، ولقوله ﷺ :-

« اجعلوا أئمتكم خياركم » إشارة إلى أن الحق في عزله حيث لم يكن أهلاً للإمامة لجماعة المسلمين ، إن لم يكن حاكم أو إمام يقوم بعزله ، فأي إمام لم يصلح للإمامة عندهم وكرهوه لدينه ، وأمر يتعلق بصلاته ، عزلوه وجعلوا مكانه من يرضون لشفاعتهم ، ويتعين عليه في نفسه التخلف عن الأمة لخبر :-

« خمسة لاتتجاوز صلاتهم آذانهم » فعد منهم : « من أم قوماً وهم له كارهون » وأثر عن عمر رضي الله عنه أنه قال :-

« لأن أقرب فتضرب عنقي ، أحب إلي من أن أؤم قوماً ، وهم لي كارهون » مع أن الإمامة من قبيل الأمانة ، والحرص على الأمانة دليل الخيانة ، وإنما يحرص عليها من يريدها لغير ماهي له ، فإنما هي قربة ، فمتى أريد بها أو منها غير الله تعالى خرجت عن بابها ، ومن طلب ماليس له استحق الحرمان ، ومن ثم قال العلماء في تنازع الجماعة المستوية في الأوصاف المقتضية للإمامة فيمن يقدم منهم لها : أن يقرع بينهم حيث كان مطلوبهم فضل الإمامة وثوابها ، ومزية القيام بشعيرة من شعائر الإسلام ، لاطلب الرياسة والمنافسة في المراتب الدنيوية، وإلا سقط حقهم في الإمامة لأنهم حينئذ فساق ، والفاسق بمعزل عن الإمامة ، كذلك من تنازعوا فيها كِبراً وحَسداً وسُمعة ، فأين صاحبكم من هذا ؟ وهو إنما يتعصب لها ويطلبها من جهة كونها ميراث آبائه ، وما درى أنها لو كانت ميراثاً لم تصل إلى آبائه ، أو لم يَبلُغكم

إجماع من يعتد به من العلماء، على منع تولية المناصب الشرعية من الإمامة والقضا، والفُتيا ونحوها بالتوارث والجاه ممن لايصلح لها ، قال بعض العلماء :-

« وإنها لمصيبة ابتلي بها العباد ، وماهي إلا من قبل فساد الأمراء والعلماء ، فإن بصلاحهم يصلح الناس وبفسادهم يفسدون ، وما ذلك إلا من جهة الأطماع فإنها قيدت ألسنة العلماء وخنقتهم فسكتوا ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾ وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أفعالهم ، ففساد الأتباع بفساد الرؤساء ، وفساد الرؤساء بفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء حب الجاه والمال ، وقال القاضي عياض رحمه الله :-

« أهم ما ينبغي الإهتمام به ويحق على القضاة وسائر الحكام وأحاد المسلمين وولاة الأمور القيام به ، وبذل الجهد والإجتهاد فيه : تفقد أحوال الصلاة التي هي عماد الدين وفصل مابين الكفرة والمؤمنين من أحكام ، وحمل العامة على إقامتها ، واختيار من يصلح للإمامة فيها ، وتفقد سائر أحوالها من ظاهر التقصير فيها وإهمالها ، وعلى الحكام موالاة أخذ الناس بذلك والإشتداد على الكافة قبل كل شيء من سائر الأحكام ، وبذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى عماله : أن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » .

وفي تشنيع مثل هذا من توارث المناصب الدينية أنشد أثير الدين أبو حيان :-

بُلينا بقوم صُدِّروا في المجالس ... لإقراء علم ضَل عَنهم مَرَاشدُه
لقد أخروا التَّصدير عن مُستحقه ... وقُدم غَمر جامد الدَّهر خامده
وسوف يُلاقي من سعى في جلوسهم ... من الله عُقبى ما حَوَته عقائده
علا عقله فيهم هواه وما درى ... بأن هوى الإنسان للنار قائده

هذا مجال واسع رحب ، وفي هذا القدر منه تنبيه لمن كان له قلب ، ياالله ، للعجب من طلب صاحبكم للإمامة ، بما هو جرح في الإمامة ، من حمله السلاح على جماعة المسلمين وانتهاكه في آن واحد أربع حرم عظام :

حرمة الإسلام ، وحرمة الجمعة ، وحرمة الصلاة ، وحرمة المسجد ، وخروجه من نعت العدالة التي هي شعار الأئمة ودخوله في حشر الحرابة ، وإشهار السلاح على إخوانه المؤمنين في المسجد يوم الجمعة وهم في صلاتهم ، ونبته سفك دم أخ مسلم قدمته جماعة المسلمين لإمامتها ، فما أبعد ما بينه ومابين الإمامة والتأهل لها قبل هذه الفعلة وبعدها ويا رقة دينها وسفاهة أحلامها جماعة فرقتها هجمته من جماعتها ، وأخرجتها بعرجته من مسجدها ، وصرفتها مخرقته عن صلاتها ، التي هي محل المناجاة ومعدن المصافات والوصلة بين العبد ورب السماوات بعدما بلغها ﷺ : « أن مابين العبد والكفر إلا ترك الصلاة » وهذه الجماعة قد تلبست بغرض معين يختص بيومه وشروطه ، فأسلموه لفسقه ضعفاء من غير نكير ، ولاتعكير ، استخفافاً بالدين ، ورغبة عن سنن المهتدين .

لعمري ، لحُرُم الله سبحانه وتعالى أحرى بالحماية والدفاع ، من حرمة الإنسان التي أباح له الشرع القتل والقتال دونها ، لو كان ثم من له همه بالدين وأسوة بسلف المسلمين فلقد صح أنه ﷺ بعث رجلين من أصحابه عيناً على العدو ، فكمنا بموضع يرقبان العدو ، فلما مضى دهر من الليل نام أحدهما ، وقام الآخر يصلي فلما توسط في صلاته أشرف عليهما العدو ، فسددوا سهماً ورشقوه به ، فأصابه وهو يصلي ، فمضى في صلاته ولم يقطعا ثم رموه ثانياً بسهم فأصابه ، فلم ينفتل في صلاته ، فلما أثخنته الجراح وخاف إن مات وقبض على صاحبه ، أن يغتالوه ﷺ وأصحابه ، وينالوا منهم غرة ، أيقظ صاحبه فقيل له في ذلك ، فقال : لولا ما أخاف على المسلمين ما قطعت صلاتي لما أجد فيها من لذة المناجاة .

ويروى أن رِجلَ عروة بن الزبير بن العوام اعتلت ، فاتفق الأطباء أن لادواء لها إلا القطع والتحسيم ، وأنها إن لم تقطع أفضت إلى إتلاف نفسه ، فَعُرض ذلك عليه فامتنع عن قطعها ، فقالت لهم ابنته : أمهلوا أبي حتى إذا أحرم بصلاته فشأنكم برجله فافعلوا بها مابدالكم ، فإنه لايشعر في صلاته بغير ماهو فيه من لذيذ المناجاة ! فلما أخذ في صلاته ، قدموا إليه الطبيب فقطع رجله ، فحسمها وهو منتصب لم يبرح ، وساكن لم يتزحزح ، فلما انفتل من صلاته قال :

ماذا صنعتم برجلي ؟ قالوا : قطعها الطبيب وحسمها وأنت في صلاتك . فقال : ما شعرت بشيء من ذلك إلا أني وجدت في صلاتي رائحة الزفت » .

هكذا شأن المصلين المخلصين الخاشعين المخبتين . قال تعالى : ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .

وليس قصدنا خلو جميعكم من معاني الإخلاص ، فجدير أن لايخلو جمع من جموع المسلمين من صاحب مروءة وفتوة ، تحمله الأنفة وخوف السبة ، على التنزه عن الوقوع في مثل هذه الخطة التي لم يطرق الأسماع أدهى منها ولاأمر ، ولم يبلغنا عن أهل البوادي والأمصار أخس منها ولاأحقر ، ألم يبلغكم أن المروءة الدِّين ، ومن لامروءة له لادين له ، وأنها التنزه عما يعاف طبعاً ، والحياء مما يعاب شرعاً وهي من أخلاق الأشراف وشيم أولي الديانة والإنصاف فقد قيل : « حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه » قال الشاعر ، وأجاد :

ورب قبيحة ما حال بيني   وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن   إذا ذهب الحياء فلا دواء

قالوا : « الكريم يرعى حق اللحظ ويتعهد حرمة اللفظ ، ويتحاشى العار ، كما يتحاشى النار » ولو أن هذا الجسور كان ملكاً مطاعاً ، أو متغلباً قطاعاً ، لكان لكم فيما أنتم عليه عذر بتسلطه وتغلبه ، فما بالكم بمسكين ضعيف ذي عقل سخيف في أمثاله من رعاع الأتباع لولايعلم فيكم من فساد النيات ، وسوء الطويات ما قدم على ما انتهك من عظائم الحرمات ، وأتى به من الفواقر والهنات ، بل كنتم كما قيل :

سواسي كأسنان الحمار فلا ترى   لذي شيبة منهم على ناشئ فضلاً

حيث لم يعب عليه منكم عائب ، ولا رد عليه سوء عمله شاهد منكم ولاغائب ، وقد وصف تعالى هذه الأمةالكريمة بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله فقال :-

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وذم اليهود بعكس ذلك ، فقال : ﴿ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ﴾ وقال

ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ، وليصبن عليكم العذاب صباً » وفي حديث آخر عنه ، أنه قال : « إذا ظهر فيكم المنكر فلم تغيروه يوشك أن يعم الله الكل بعذاب منه » .

بل لاعذر للساكت منكم في سكوته ، إذا الساكت أخو الراضي ، ولا للعالم في عدم بيانه ، إذ الكاتم للعلم كمن لاعلم عنده . وليس في الشر أسوة ولافي الخطأ قدوة ، ومن حق القادم على مثل هذه الفاقرة ، التنكيل والتعزير والتأديب والتحقير ، ليكون لمن خلفه رادعاً ، وعن مثل عمله لمثله وازعاً ، فهنة هذا شر الهنات ، وهفوته أدهى من الهفوات ، قيل :-

« شر العيوب ما كان مصباً للعيوب ، وشر الذنوب ما كان علة للذنوب » وبالتنبيه لما تحت هذا العيب من العيوب ، وماجرَّ إليه ذنبه ذلك من الذنوب ليعلم أنه بصولته هذه سعى في كسر سفينة الإسلام « مثل الصلاة في سائر العبادات مثل السفينة مع جميع من فيها إن سلمت سلم الكل ، وإن أصيبت أصيب الكل » ولو أن في تقديمه مصلحة لنفسه أو لغيره ، فلقد عارضتها مفاسد تتعلق بالدين وبكافة المسلمين يجب تقديم درء الواحدة منها على جلب مصلحة لنفسه أو مصلحة غيره فيه ، إذ القاعدة الشرعية كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح ، ولا مصلحة لهذا المسكين وأمثاله في تولية الإمامة ونحوها من المراتب التي تقطعهم عن العمل فيما يصلح به حاله من رياضة نفسه وتحصيل مرمته .

أنه قال : أمّ أبو عبيدة بن الجراح قوماً مرة ، فلما انصرف قال : « ما زال بي الشيطان آنفاً حتى رأيت أن لي فضلاً على من خَلفي ، لا أؤم أحداً أبداً » .

فهذا أبو عبيدة ، فما ترون لهذا المسكين وأمثاله ؟!! وإنما يطلب الإمامة فاسق في ثياب ناسك ، أو راغب في الدنيا في هيئة سالك ، فإني أوصيكم إخواننا في الإبقاء على دينكم فإن من عدم الحياء عند الفضيحة ، والصبر عند النصيحة سهلت عليه المعاصي كلها ، ومن ترك العمل بما ينبغي ، عمل بمالا ينبغي ، وليس شيء من البر إلا ودونه عقبه من الصبر ، فاتقوا الله وأطيعوه وابتغوا إليه الوسيلة ولاتخونوه فيما أئتمنكم عليه من ودائع الدين ، وتعاونوا

على البر والتقوى ، وتحاجزوا دون المعاصي ومتابعة الهوى ، فإنه لن يكون المرء ناصحاً لله حتى يحب عدوه إذا أطاع الله في عدواته ويقلع عما عاداه عليه ، ويبغض وليه إذا عصى الله في موالاته وينزع عما والاه عليه ، فإنا لم نألكم نصحاً في الحال والماضي ، ولانألكموه في المستقبل إن سعيتم في المراضي ابتغاء وجه الله ، ونصيحة لدين الله ، وأنتم تعلمون أنا كنا نهتم لكم مالا تهتمون لأنفسكم ، ونحوط حيطتكم بما لاتحوطونها به ، ونجتهد في الدفاع عنكم وحماية جانبكم ، بعدما طلب منا غير جبل من الناس أشد الطلب إسلام تنبكتو ، فأبينا عليهم بذلك ، وقطعنا أطماعهم من الوصول إليها بمكروه كالبنابرة منذ زمن طويل إلى يومنا هذا . وما ذاك إلا غيرة للإسلام ، وعقيدة فيكم أنكم من إخوانه وأن بلدتكم قاعدة السودان ، ومقر أهل الإيمان . فإذا أسلمتم دينكم لأضعف ناعق ، وخلعتم ربقة الإسلام وشعاره لأول ناهق ، فلست عليكم بوكيل ، وإنما أنا مرشد ناصح ودليل ﴿ ولاينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون ﴾ .

على أن البنابرة على كفرهم أهل عدل وعمارة وأمر مستقيم السياسة ، وأنت أيها القائد أبا بكر لتعلم أنك قد تقلدت بالتصدر قلادة ثقيلة ، لايقوم بها إلا كل مشمر حازم ، لاتميل به الأهواء ولاتستزله عن رأيه السفلة الغوغاء ، إذا كلفت إلى تكليف نفسك تكاليف أهل تنبكتو جميعاً ، فإن عدلت فيهم وأخذت على أيديهم كنت أسعدهم وإن تركتهم هملاً خبت وخسرت ، ففي الحديث الصحيح عنه ﷺ :-

« عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة » والدولة تبقى على العدل والكفر ، ولاتبقى على الإيمان والجور كما قيل :

عليك بالعـــدل إن وليت مرتبـــة   واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك يبقى على عدل الكفور ولا   يبقى على الجور في بدو ولاحضر

ومن الحكمة : « من اتخذ العدل سنة كان لها حصن جنة ومن استشعر العدل استكمل رتبة الفضل » وأنت - أيها القاضي المعان سيدي عبد الرحمن - لتعلم أنك مكلف مطالب

بجميع ما أخل به من تسمع فيه كلمتك ، وتبلغ إليه يدك ، بتقليدك خطة القضاء التي هي ثانية الولاية في الترتيب ، وأولاها في المرتبة ، إذ الأولى للتنفيذ والثانية للحكم فالتنفيذ فرع الحكم ، والأصل مقدم على الفرع ضرورة ، سيما وليس معلك في البلدة من يشغب عليك ، لو صحت الطوية وخلصت النية ، وراقبت مقتضى حديث « لقضاء يوم هو أفضل عند الله من صلاة المرء عمره » .

وقول مسروق : « لأن أقضي يوماً بحق أحب إلي من أن أغزو في سبيل الله » واعتبرت قوله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ الآية .

فهذا نبي الله داود ورسوله وخليفته في الأرض خوطب بهذا الخطاب المدهش، وحذر اتباع الهوى، وأنذر بعذاب من ضل عن سبيل الله فيهم لاتنشق مرائي من عداه ممن تولى ولاية ما خوفاً وإشفاقاً على نفسه ، ويستشعر الخوف من أن يميل به الهوى في كل نفس من أنفاسه، لأن مداخل الهوى والأغراض في الولايات هو الفساد والضلال الذي عنه فسدت الدنيا ، أما سمعت قول موسى لأخيه هارون عليهما السلام : ﴿ اخلفني في قومي وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين ﴾ فولاة الجور لجنايتهم على الحق تعالى أشد الخلق عذاباً يوم القيامة ، ومصداقه قوله ﷺ : «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل عليه الجور في عدله» .

وولاة الحق المصيب قضاؤهم بمظاهرتهم للحق تعالى : أشرف الناس منازلاً يوم القيامة ، بشهادة حديث : « العدل جليس الله يوم القيامة » .

وليس الظلم والجور بالإيذاء ، ولا العدل بإيصال النفع ، بل ربما كان الإيذاء عدلاً ، وإيصال النفع ظلماً موضع كل موضع الآخر ، مثل ذلك :

إذا فتح الملك خزائنه المشتملة على أنواع الأسلحة والكتب وفنون الأموال ، ولكنه فرق الأموال في الأغنياء ، ووهب الأسلحة للعلماء ، وأعطى الكتب للأجناد وأهل القتال ، وسلم المساجد والمدارس إلى الجهلة والفساق .

فقد نفع ، ولكنه ظلم ومال عن العدل ، إذ وضع كل شيء في غير موضعه اللائق به فافهم واتق الله وأبق على نفسك وعلى الإسلام وأهله واغتنم غنيمة من أحيا سنة ميتة أحيا الله ذكره بعد موته .

واعلم أن حياة السنة مستلزمة لموت البدعة ، والعكس بالعكس ، ألم تر كيف أدت محاولة هذا المغرور إحياء بدعة ولاية الإمامة مالا يصلح لها ، وتوارثها ، إلى إماتة شعيرة من آكد شعائر الدين وسنة واجبة من آكد سنن خير المرسلين ، تعصباً لبغيه وزيفه ، وحمية لبدعته الشنيعة وظلمه ، وهو بين أظهركم وتحت أيديكم .

وهب أنه سلالة أئمة فانسلاله عنهم مع تأهلهم دونه لايوجب له حقاً في الإمامة مع أنهم إنما كان يقدمهم للإمامة من سلفكم الصالح من تصدر القضاء مع وجوه البلدة ، كيف يكون ميراثاً ، والحالة هذه وهذا قد أجمع أهل العقد والحل على عزله ، بعدما عزله الشرع العزيز ووليتم غيره بحكم ولاية الشريعة ، فرد عليكم ما أجمعتم عليه وحل ماعقدتم بعد إبرامه واتفاقكم عليه ، ثم لم يكبر ذلك في صدوركم ، ولم تشمئز منه طباعكم ، وطباع الكريم تأنف عما دونه ، والأنفس العزيزة تعاف الضيم ولاتعافونه ، فإذا لم تنتصروا لله ولم تحاموا عن دينه ، فانتصروا لأنفسكم وحاموا عن أعراضكم فإنه :

لاخير في يحي أمر نشره ... كنشر ميت بعد عشر نبش
فذاك إن مات فسحقاً له ... وإن يعش فهو كمن لم يعش

وقد نصحت لكم فاقبلوا ، وأمرتكم بفعل البر فافعلوا ، والخير أردت ، والنصح قصدت ، وعلى الله اعتمدت ، وإلى ركن عصمته استندت ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي الكفيل ، وصلى الله وسلم على نبيه الكريم الجميل وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان في كل آن وفي كل جيل ، والسلام .

تمت بحمد الله تعالي وحسن توفيقه الجلي لكتابه وماله ولوالديهما ولجميع المؤمنين والمؤمنات برحمتك يا أرحم الراحمين . آمين يا رب العالمين ، ووافق فراغه يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الآخرة عام ١٣٣٩هـ .

رسالة من الشيخ سيدي المختار الكنتي إلى المختار بن آقريشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعز بالطاعة فرقة الدين ، فقال : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ والصلاة والسلام على إمام المرسلين وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . وأشهد أن لاإله إلا الله شهادة أعدها ليوم الجمع ، وألقها بالطاعة والسمع .

هذا ، وإنه من المختار بن أحمد بن أبي بكر إلى رئيس المغافرة غير منازع ، وقائدها غير مدافع بن المختار بن آقريشي فسلام أشهى من الخندريس ، وألذ من وصل الأنيس ، وأبهى من الدر النفيس ، وتحية أضواأ من الياقوت ، وأضوع من المسك الفتوت ، يعمك ويعم جميع من تعلقك بك وارتبط بشطانة نسبك أو تعلق بعلاقة سبك ، ما انهل غما وهدر حمام وانقشع ظلام، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، والعاقبة للمتقين ، وقد بلغنا كتابك فنشرناه ، وأمعنا النظر فيه ، فقبلنا مافي سطوره ، وتلقينا بالمبرة مافي منشوره ، فإذا بك تتعرف إلينا على رسم ما الفيت عليه آباءك دونهم ، فاجعل إحسان الله إليك بالتقرب والإحسان إليه بحسن السيرة مع من جعلت لك اليد الطولى عليه لاسيما من انتسب إلى الله ، قال ﷺ : « إنما ترحمون وترزقون وتنصرون بضعفائكم » أرشدك الله إلى سبيل الرشاد ، وأخذ بيدك عن الميل إلى الزيف والفساد ، وجعلك ممن يده مفتاح للخير مغلاق للشر ، فإن الرسول ﷺ يقول : -

« إنالله خزائن مفاتيحها الرجُل ، فطوبى لمن كان مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر » .

وأما ما بيدك ، وفقك الله لإنفاقه في وجوه البر ، وقولك : ابعثوا إليَّ من يأتيكم بكذا ، فنحن ممن يتعفف ، ولسنا ممن يتكفف ، ولسنا بصدد الرسائل المالية ، بل ماوفقك الله له ،

أنانا من غير مسئلة ، ولا إشراف نفس ، ومالا فلا تأثير له في تأكيد محبة ولاتحقيق صحبة ، والله هو الرزاق ذو القوة المتين .

والسلام عليكم وعلى من انصاف إلى حومتكم والسلام .

وله هذه القصيدة في وصف الجنة والترغيب فيها، ووصف الدنيا والتحذير منها

أيقظ جفونك إن القلب وسنانُ وصمم العزم إن العزم كسلان
وحنّ شوقاً إلى أخراك مبتدراً إن اللبيب إلى أخراه حنان
واعمل لدار بها اللذات قاطبة راح وروح وراحة وريحان
ظل وماء وأزهار مفتقة عن الكمائم أشكال وألوان
قيعان مسك بها الأنهار جارية خمر وماء وماذي وألبان
في جنة من نضار راق منظرها ترابها المسك والجدران عقيان
مرأى أنيق وأكواب مشعشعة من الرحيق وكاسات وولدان
بها المقاصر والخيمات عالية من اللآلي وفيها الحور سكان
بيض نواعم أبكار منعمة تحار فيهن ألباب وأذهان
يرفلن من سندس الفردوس في حلل من فوقها حلل من تحتها بان
نشأن وسط مقاصير مزخرفة لم يطمثهن بها إنس ولاجان
يبسمن عن دُرَر راقت لمُبْصرها كالسيف شيم ونصل السيف عريان
ريق لذيذ وأنفاس معطرة ومنطق ساحر الألفاظ فتان
سورن من حلي دار الخلد أسورة فيهن در وياقوت ومرجان
لمثل ذاك يجاهد كل ذي ورع وجاهد النفس إن النفس شيطان
مهورهن صلاح دائم وتقى زهد وصبر وإخلاص وإيمان
جزاء كل على ما كان من عمل إن الجزاء على الإحسان إحسان
أذاك خير أم الدار التي خلقت دار الهوان فلا عز ولاشان
أفنت قروناً وأفنت بعدها أمماً بادوا جميعاً وجفن الدهر يقظان
أهون بدر غرور نفعها ضرر في صفوها كدر في الوفر حرمان

لايربح المرء من أمـــالهـــا أمــلاً إلا سيــعــقب ذاك الربح خـــسـران
ولايــزيــد ثــراء المـال مــن طــمــع إلا يليــه بدار الحق حـــســبــان
لايشـبع المرء من خـفـض ومن أشـر إلا غـدا وهو يوم الحـشـر جـوعـان
من كـان يضحك في دنيـاه من فـرح فـسـوف تبكيـه في أخـراه أخـران
أمـانة وعــهـــود ليس يحـملهــا إلا جـريء على الخيـرات مـعـوان
لاتحـسب اللفظ أقـــوالاً ملفـــقـــة كـل يصــــدقـــه نص وقـــرآن
فـاختـر لنفسك مـا تبـغـيـه من بدل وزن بعـــقلك إن العـــقل مـــيــزان

وله هذه الموعظة النظمية

فامهد لنفسك قبل الموت صالحة ... لاتدخر عسجداً عنها ولاذهباً
وارحل بزاد من التقوى تقدمه ... نعم الخليل إذا متروكك انتهبا
فالعمر ولى وليل الشرخ قد ذهبت ... به الثريا وروض اللمة التهبا
من لم يكن بنذير الشيب منزجراً ... فالنار موعده تباً لمن هربا
الشيب شوف المنايا بالشبيبة لا ... تغررك سوف فإن الوعد قربا
أبعد خمسين يرج المرء موعظة ... من المنية والمسلوب قد عطبا
ألف كيوم ومحشود كمنفرد ... وذو الغنى كالفقير والحياة هبا
من غره زخرف الدنيا وبهجتها ... فليستمع ما رووه من حديث سبا
أين الذين بنوا قصراً مشيداً ومن ... بني الخورنق صاروا عبرة عجبا
كأنهم ما بنوا بيضاً مشرفة ... وما تعاطوا كؤوساً ملئت طربا
ولم يسيروا على خيل مسومة ... جرداً أبابيل في معصوصف لجبا
تكاد تهتز من خوف ومن حزن ... صم الجبال إذا ما عصبوا عصبا
بادوا جميعاً فاعين ولاأثر ... وأصبحوا رمماً قد تببت تببا
في قعر مقفرة سوداء مظلمة ... تذري عليهم رياح حصبت حصبا
تمحى محاسنهم والدود يأكلهم ... والذل يغشي وجوهاً طالما احتجبا
والقبح يجري على الخدين يخضبها ... والبطن منتشر والجسم قد عطبا
إن لم تسهل ولم تخزى فلا ضرر ... والعكس بالعكس والمخذول من سلبا
من غره العمر قد طاشت مقاصده ... ومن يشمر سيجزيه بما كسبا
هذي المواعظ إن تنفعك موعظة ... والعمر في ربقة التسويف قد نشبا
من يذكر ينزجر عن كل غائلة ... ومن يفرط يرى في النار قد رسبا
خير البرية من طابت سريرته ... ومن يقم بالدجى والليل قد حجبا

والدمع يجري على الخدين يخضلها   والقلب مرتقب والسر ملتهبا

كأنه كوكب والليل معتكر   يتلو كتاباً عزيزاً معجزاً عجبا

في قرة العين في بهو يحركه   ذوق مشاربه قد عذبت عذبا

فالشوق يقلقه والذوق يغرقه   والوجد يحرقه والدمع منسكبا

في عينه سهد في قلبه كمد   في بطنه ثمد أعيا الورى طلبا

في صدره حيرة في قلبه غير   في جوفه زفرة تبقي الكلا حطبا

على الخلق للخلاق إن فعل الفعلا … رضاهم به منه وإن عظم الفعلا
وتفويضهم فيما قضى فيهم له … أمر الذي يقضي من الفعل أو أحلى
وللخالق القهار في خلقه بلا … منازعة تصريفه جزعوا أم لا
هو المالك الفعال وفق مراده … له الحكم فضلاً كان في الخلق أو عدلا
وفي موت خير الخلق أحمد أسوة … ويأس لمن يستعمل العقل والنقلا
من الخلد في دار غرور سرورها … وللغم والأكدار وطنها المولى
فلا خالد يبقى ولاعامر بها … بل الكل قد يبلى وتبلى كما يبلى
فيا باكياً شمس الهداية شيخنا … وسيدنا المختار للفضل عد معلا
ليبكيه دهر كان شمس سمائه … وكان له غيثاً وكان له نصلا
ليبكيه قطر عاش في بركاته … وتبكيه أرض كان حاكمها العدلا
ليبكيه عصر كان يسقى ويستقى … بيمن يمين منه عودها البذلا
ويبكيه معروف به كان آمراً … على وجهه حقاً ويسد له سدلا
وتبكيه أضياف ويبكيه ضيفن … وتبكي ضعاف كان مرتعها السهلا
وتبكي ملوك كان أساس ملكها … ويبكي سلوك كان معلمه الأجلى
وتبكي اليتامى والأيامى لفقده … وتبكي بلاد كان ديمتها الهطلا
ويبكي حقير عز في فضل عزه … ويبكي فقير عنه فاقته أجلى
تغمده رب البرية بالرضا … وحلاه بالتكريم في الملأ الأعلى
وصلى على خير الأنام محمد … وآل وأصحاب به اشتملوا الفضلا

ومن مراثيه أيضاً :-

ألا مـا لغـيـر الله في خلقـه أمـر ولله جل الخلق والأمـر والقـهـر
هو الله جل الله لارب غـيـره له الحـمـد والملك الذي قـال والشكر
لقـد أسـبغ النعـمى لحي كناتة بسيـدها المختـار مـا اتصل العمـر
فـما طرقـتـهـا قـبله كـمصيبـة بسيـدها المختـار إذ ضمـه القـبر
فكان لهـا براً وبحـراً كـمـا ترى فـمـا مـثله بر ولامـثله بحـر
كـأن بني الكنتي يوم وفـاتـه نجـوم سمـاء خـدّ من بينهـا البـدر
ومـا كـان إلا مـال من قل مـاله وذخـراً لمن أمـسى وليس له ذخـر
أحـسـاده في مـوته وحـيـاتـه له لالكم عـز العـلا وله القـدر
فـمـا بعـده فـخر ومـا مـعـه لكم ودونكم كـانت له العـز والفـخـر
فـإن يخل منه الجـو من بعـده لكم فـفي سـمـعكم من ذكـره أبداً وقـر
فـإن يخل منه الجـو من بعـده لكم فـمـا خـبـر زاك لديكم ولاخـبـر
وإن يخل منه الجـو من بعـده لكم فـمـالكم ورد بـفـضـل ولاصـدر
بلى كـان إصـدار المعـالي ووردها له مـالكم في الكل صك ولاحـبـر
فلو كـان يبـقى المجـد والجـود والندى ويبـقى العـلا والعلم والحلم والصـبر
لأبقـــاه أو أبقى أبـاه وجـــده وأبقى كـرامـاً قـبلهـم مـالهـم حـصـر

رسالة من الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار إلى أخيه الأكبر الشيخ سيدي باب أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه إلى الأخ الشقيق ، بل الأب الأحنى الشفيق ، ذي الصيت الأصعد ، والسعي الأسعد ، سيدي باب أحمد ، حمد الله وشكر طالع سعده السعيد ورقاه مراقي كمل الرجال ، ووقاه مرامي القطيعة والإنخذال ، وخلع عليه خلع أوصاف العلى ، وأطلع قمر سعده وسعادته في الآخرة والأولى ، وجعله عذباً معيناً للواردين ، ومجناً جنياً للوافدين ، آمين يا رب العالمين .

من عبد ربه الغني به محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر :

إنه بسم الله الرحمن الرحيم ، وأحمد الله إليك الذي لاإله إلا هو السميع العليم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد غاية التسليم ، مع نهاية الرحمة والمبرة والتكريم ، والتحية الحسنى والبركة والتبجيل والتعميم ، والوصية لنفسي ولك بتقوى الله العظيم ، التي هي ملاك الأمر وأسه وقاعدة البر ورأسه ، قال تعالى : ﴿ واتقون يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ﴾ وقال ﷺ : « التقوى رأس كل حكمة » وباستقراء خواصها وفوائدها من كتاب الله العزيز ، وبكلام محكمه الوجيز ، تعلم مراتبها ، وتتضح خواصها ومناقبها ، منها الفلاح الذي هو جماع كل خير عاجل وآجل ، كما في الآية المتقدمة ، ومنها السلامة والخلاص من محن الدنيا والآخرة ووصلهما مع تيسير الرزق وإتيانه من حيث لايحتسب ، ومنها تكفير الوزور ، وتوفير الأجور ، قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴾ ومنها وضع النور الفارق بين الحق والباطل والخطأ والصواب في قلب المتقي ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ .

ومنها الفتح في أنواع العلوم وخصوصاً علم المعارف المشروط به ، قال تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم ﴾ ومنها الفوز بالنعيم والكرامة ، في دار السلام والمقامة ، قال تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ إلى غير

هذا مما يضيق عنه وسع نطاق هذه الأوراق ، وعليك بالإعتماد على الله والإعتصام بحبل الله تعالى ، فهو ركن المعتمد على فضله ، وكفاية المعتصم بحبله ، قال تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .

والتوكل محله القلب ، فالحركة بالظاهر لاتنافيه بعد تحقق العبد أن التدبير من قبل الحق جل وعز ، فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تحقق شيء فبتيسيره ، وإلى ذلك الإشارة بحديث : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير ، تغدو خماصاً وتعروح بطاناً » .

يشير ﷺ بذلك أن الطير لا اعتماد لها على شيء غيرما يفتح به عليها من خزائن ربها ، ثم هي مع ذلك تبتكر في طلب القوت ، من غير وجه معهود لها ، فتأخذ مافتح به عليها ، فتروح إلى أوكارها بطاناً بعدما غدت خماصاً ، ثم تعود لذلك مدة عيشها من غير ادخار ولااحتكار .

فهكذا ينبغي أن يكون حال العبد المتوكل لايظهر فيه انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقته إليها ، ولايزول عن حقيقة السكون إلى الحق ، مع وقوفه عليها ، فإن أعطي شكر وإن مُنع صبر ،ومن هنا قال بعض الأكابر :

« التوكل هو وُد العيش إلى يوم واحد وإسقاط همِّ الغد » وقالوا :-

« التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته ، فمن فاته حاله فلا يتركن سنته وحقيقته : الإكتفاء بالله ، مع الاعتماد عليه والإعتصام بحبله ، وقد كان الشيخ الوالد رحمه الله يقول : « التوكل ثلاث درجات : التوكل ثم التفويض ثم التسليم ، فالمتوكل يسكن إلى وعده وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه ، فالتوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية » .

وعليك بالزهد فيما سوى الله تعالى فهو الحق وماسواه باطل ، قال تعالى : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ ثم الزهد في الحرام واجب ، والزهد في الحلال فضيلة ، قال ﷺ لمن سأله عمن عمل إذا عمله أحبه الناس وأحبه الله : « ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وازهد

في الدنيا يحبك الله » وقيل :

« الزهد أن لاتفرح بموجود ولاتأسف على مفقود » أخذ من قوله تعالى : ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم ﴾ وقال يحى بن معاذ : « لايبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال : عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة » .

وقال أبو عثمان : « إن الله عز وجل يعطي الزاهد فوق ما سأل ، ويعطي الراغب دون مايريد ، ويعطي المستقيم موافقة مايريد » . وبالجملة فالله تعالى جعل الشر كله في بيت ، وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا .

وعليك – أمنك الله تعالى بتأييده وعصمك بعنايته وتسديده – الخوف من الله تعالى والرجاء له ، فإنهما جناحان للسالك عليهما ، يطير في مهامه سيره ، وعليهما يبلغ الفوز بفلح المسعى وخيره ، ففي الحديث عنه ﷺ : « لايدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يرجع اللبن في الضرع » ثم هما متعلقتان بالمستقبل ، فإنما يخاف الإنسان أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب في المستقبل ، كما أنه لايرجو الظفر بمطلوب والفوز بمرغوب إلا في المستقبل .

والخوف منه تعالى : مطالعة مفاجأة عقوبته عاجلاً أو آجلاً ، مع الاستعداد للمخوف بترك أسبابه الجالبة له والمؤدية إليه مع قلق ، وهو للعوام .

كما أن الخشية ما ذكر لكن مع طمأنينة وسكون ، مكان قلق الخائف ، وهي للعلماء ، قال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ أي العارفون به تعالى ، وهم الخواص ، كما أن الرهبنة للملائكة وهي ماذكر في الخشية ، لكن مع تهالك في عظمة المرهوب منه ، قال أبو علي الدقاق :

« في الخوف ثلاث مراتب ، الخوف والخشية والهيبة ، فالخوف من شروط الإيمان ، وقضيته ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ والخشية من شروط العلم ، قال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ والهيبة من شروط المعرفة ، قال تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ ثم الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه ، وما فارق الخوف قلباً إلا خَرِب ، والخائف يهرب من ربه

إلى ربه ، ثم الخوف زمامان على النفس لئلا تخرج إلى رعونتها ، وقال الحسين :

« من خاف أو رجى غير الله ، أغلق عليه كل شيء وسلط عليه المخاوف ، وحجب بسبعين حجاباً : أيسرها الشك وإنما أوجب شدة خوف القوم فكرتهم في العواقب وخشية تغيير أحوالهم ، قال تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ فكم من مغبوط في أحواله انعكست عليه الحال ، ومني بمفارقة محمود الأعمال ، فيبدل بالأنس وحشة وبالحضور غيبة والعياذ بالله تعالى .

وقيل لما ظهر على إبليس ماظهر ، طفق جبريل وميكائيل يبكيان زمناً طويلاً ، فأوحى الله إليهما : مالكما تبكيان هذا البكاء ؟ فقالا : ربنا لانأمن مكرك . فقال تعالى : هكذا فكونا ، لاتأمنا مكري .

وقال حاتم الأصم : « لاتغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس بعدها لقي مالقي ، ولاتغتر بكثرة العلم ، فإن بلعام بن باعوراء كان يحسن الإسم الأعظم ، فنظر ماذا رأو ، ولاتغتر برؤية الصالحين ، فلا شخص أكرم من المصطفى ﷺ لم ينتفع بلقائه أقاربه وسائر من لم يسلم من أعدائه » .

ثم بالرجاء وعيش القلوب واستقلالها ، إذ علامة حسن الطاعة ، وحاصله النظر في سعة رحمة الله ، وبالجملة فليخف العبد من ربه خوفاً لايؤيسه من روح الله ، وليرجاه رجاء لايؤمنه من مكر الله تعالى وقد قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « قل لهم : إني لم أخلقهم لأربح عليهم ، وإنماخلقتهم ليربحوا عليَّ » .

وعليك - أصلح الله أحوالك وبلغك آمالك - بالتواضع والخشوع ، فالخشوع الإنقياد للحق ، والتواضع الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم .

وسُئل بعضهم عن معنى الخشوع ، فقال : « قيام القلب بين يدي الحق بهم مجموع » وقال الترمذي الحكم :

« الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره ، وأشرف نور التعظيم في قلبه ،

فماتت شهواته وحيي قلبه ، فخشعت جوارحه ، ومحله القلب » وأما التواضع فكان ﷺ يعلف البعير ، ويقم البيت ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معه إذا عيي وكان لايمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصافح الغني والفقير ، ويسلم مبتدئاً على من يستقبله من حر وعبد ، ولايحتقر مادعي إليه ولو إلى حشف التمر ، وكان هين المؤونة ، لين الخلق ، كريم الطبيعية ، جميل المعاشرة ، طلق الوجه ، باسماً من غير ضحك ، مخزوناً من غير عبوسة ، متواضعاً من غير ذلة ، جواداً من غير سرف ، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم ، لم يتجشأ قط من شبع ، ولم يمد يده إلى طمع ، ﷺ .

وسئل الفضيل عن التواضع فقال : « يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله » وقيل : « خفض الجناح ولين الجانب » قال ابن المبارك : « التكبر على الأغنياء والتواضع للفقراء من التواضع » وقيل : « التواضع نعمة لايحسد عليها ، والكبر محنة لايحمد عليها والعز، في التواضع فمن طلبه بالكبر لم يجده » وقال ﷺ : « من تواضع لله رفعه » ، وقيل : « الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة قال عروة بن الزبير : « رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعلى عاتقه قوبة ماء ، فقلت له : يا أمير المؤمنين لاينبغي لك هذا فقال : لما أتاني الوفود طائعين سامعين ، دخلت نفسي نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة إلى بيت امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها » .

وقال يحى بن معاذ : « التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع » وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له ا ، فكتب إليه عمر : بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم ، فإذا أتاك كتابي فبع الخاتم وأشبِع به ألف بطن واتخذ خاتماً من درهم واجعل فصه حديداً صينياً ، واكتب عليه : " رحم الله امرء اعرف قدر نفسه " » .

وقيل : « قسم عمر رضي الله عنه بين الصحابة غنيمة ، فبعث إلى معاذ بن جبل حلة ثمينة فباعها ، واشترى من ثمنها ستة أعبد وأعتقهم ، فبلغ ذلك عمر فكان عمر يقسم الحلل بعد ذلك ، فبعث إليه حلة دنية فبعث إليه معاذ في ذلك ، فقال عمر : إنما كان ذلك لما بعت

الأولى ، فقال معاذ : وماعليك ، ادفع إلى نصيبي وقد حلفت لأضربن بهذا السوط رأسك ! وقال عمر : هذا رأسي بين يديك ! وقد يرفق الشيخ بالشيخ » .

فانظر - سيدنا - إلى تواضع هؤلاء وإنصافهم ، إلى ماهم عليه من الكمال وسائر أوصافهم ، وماذاك إلا لكمال شهودهم .

إن عزة المؤمن من ربه - فلا تغتر بغيره ، إذ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فلا عزة إلا لله تعالى وبه ، فهو العزيز ولاعزيز معه ، والمذل فلا مذل معه ، فلا يهون لصدق ثقته بربه في قسمته ، ولايحزن لاعتماده عليه في وجود منته ، مستحضراً قوله تعالى : ﴿ ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ وأنشد بعضهم :

حرام على من وحد الله في الورى ... وأفرده أن يجتدي أحداً رفـــداً
وياصاحبي قف لي مع الحق وقفة ... أموت بها وجدا وأحيا بها وجداً
وقل لملوك الأرض تجهد جهدهـا ... فذا الملك مُلْكٌ لايباع ولايهـدى

وكيف ؟ وقد كسا الله المؤمن خلعاً عديدة منها خلعة الإيمان والمعرفة والطاعة والسنة ، فقبيح به أن يدنسها بالتعلق بالمخلوقين ، والإستناد إلى غير رب العالمين ، وقد كان الشيخ الوالد - رحمه الله - كثيراً ما يقول :

« ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق ، وذلك أن رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الرجال ، ومسبار الأحوال ، فكما توزن الذوات ، كذلك توزن الأحوال و الصفات ، قال الله تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ كما أنه زينة أهل الطريق وشيمة أهل الحق والتحقيق ، وعليك - ملكك الله تعالى هواك ووجهه إلى ماجاء به نبيك عن مولاك - بمخالفة نفسك وعصيانها ، قال عز وجل :-

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ وقال ﷺ : « أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل » فاتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة ، فلتعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة ، قال سهل بن عبد الله :-

« ما عُبِد الله تعالى بشيء مثل مخالفة النفس والهوى » وفي الحديث عنه ﷺ : « طاعة الشهوة داء ، وعصيانها دواء » وفي الحديث عنه أيضاً : « من أطاع هواه أعطى عدوه مُناه » .

ولما كان الهوى غالباً جُعل القلب عليه رقيباً ولكن الهوى بقوة سلطانه وخفي مكره تنفذ أحكامه على العقل ، فأما قوة سلطانه فبكثرة دواعيه حتى يكل العقل عن دفعها ، ولاسيما في الشباب لقوة شهواتهم ، وأما خفاء مكره فبتمويه أفعاله حتى يتصور العقل القبيح حسناً والضر نفعاً ، وحسم الوجهين بالنظر في العواقب ، وحمل النفس على ما تكره ، وقد قال علي كرم الله وجهه :

« إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فإن عاجلها ذميم ، وآخرها وخيم » وفي معناه قيل :-

يا غافلاً أردى الهوى عقله	مالك قد سدت عليك الأمور
أتجعل العقل أسير الهوى	وإنما العقل عليه أمير

وفي الحكمة : « خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه ، وعصى هواه في طاعة ربه » وقيل : « من أمات شهوته أحيا مروءته » ، وقال الشيخ الوالد رحمه الله :

« ركب الله تعالى في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركب في البهائم شهوة بلا عقل ، وركب في بني آدم شهوة وعقلاً ، فمن غلبت شهوته عقله فهو كالبهائم بل أضل ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ ، ومن غلب عقله شهوته فهو كالملائكة بل أفضل ، قال الشاعر :

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى	فقد ثكلته عند ذاك الثواكله
وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه	وقد وجدت فيه مقالاً عواذله
ولن يزع النفس اللجوج عن الهوى	من الناس إلا وافر العقل كامله

وقالوا : « نظر الجاهل بعينه ، ونظر العاقل بقلبه » وقيل : « ماكان عنك معرضاً فلا تكن له متعرضاً » ، وقيل : « الهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فانزل عن الهوى

تسلم ، وأعرض عن الدنيا تغنم » ولبعضهم :-

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
وساقت إليه الهـم والعـار بالذي دعته إليه من حلاوة عاجـل

والفرق بين الهوى والشهوة ، أن الهوى يختص بالإراديات والإعتقادات ، والشهوة بالمحبوبات والمستلذات ، فالشهوة أخص والهوى أعم ، ثم لايمحو الهوى من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق ، وقال الخواص :

« من ترك الشهوة ولم يجد عوضها ، فهو كاذب في تركها » وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « حذر وانذر أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا ، عقولها عَنّيَ محجوبة » .

وعن مالك رضي الله عنه قال : « بلغني أن عمر بن الخطاب قال : آكل مما يأكل الناس ، وأشرب مما يشرب الناس ، وأستبقي دنياي لآخرتي ، وذلك حين أخذت الخبيص الأحمر والأخضر» .

قال القاضي أبو الوليد ابن رشد :

« المعنى في قول عمر (آكل مما يأكل الناس واشرب مما يشرب الناس وأستبقي دنياي لآخرتي) أي لاأتنعم في مال الله تعالى بأكل المطاعم الطيبة ، فيكون ذلك سبباً إلى أن أتنحى عن فعل الخير الذي أجده في آخرتي ، بين ذلك قوله لجابر بن عبد الله إذ أدركه ومعه حمال لحم ، فقال : ماهذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قر منا اللحم ، فاشتريت لحماً بدرهم ، فقال : يا جابر ، ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه عن جاره وابن عمه ، أين تذهب عن هذه الآية ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ لأن الأجر ليس مجرد شح الرجل على نفسه بماله في ترك المطاعم الطيبة منه ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ وإنما هو في ترك ذلك ليواسي به ويفعل منه الخير ، وقد رُوي عنه أنه قال: -

« لو شئت كنت أطيبكم طعاماً وأنفسكم لباساً ولكني أستبقي طيباتي » معناه : استبقيها لأن يرثها غيري فأجد ذلك في آخرتي ، فأكل الطيبات من الطعام من المباح الزي لاوزر فيه ولاأجر في مجرد تركه إذا لم يصرف الغني ماله إلا في استمتاعه بأكل الطيبات ولبس لين الثياب ، فالفقر خير له من الغنى ، إذا شكر الله عليه ، قلت : مثل هذا المعنى في مثل مذهب عمر بن الخطاب ، هو مذهب الفقهاء ... »

إلى أن قال : -

« وقال أبو بكر الطمستاني : النعمة العظمى : الخروج من سجن النفس ، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله ، وكيف يصح للعاقل الرضى عن نفسه ، والكريم ابن الكريم يقول ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ . وقال بعض المشايخ :

« من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ، ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أنفاسه كان مغروراً ، ومن نظر إليها فاستحسن شيئاً منها فقد أهلكها » وكان بعض المشايخ يقول : « النفس الأمارة بالسوء هي : الداعية إلى الهلاك ، المعينة للأعداء ، المهتمة بأصناف الأسواء ، ولها أعوان على قطع الطريق الموصلة إلى الحق ، هم : الشيطان والدنيا والخَلق . أما الشيطان فحسب المؤمن ما قال الله تعالى فيه لنبيه ﷺ : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ فهذا خير العالمين وأعلمهم ، وأعقلهم ، وأفضلهم عند الله مكاناً ، وأقربهم منه منزلاً ، يحتاج مع جميع ذلك إلى أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، فكيف بنا مع جهلنا ونقصنا وغفلتنا ، وأما الدنيا فحق اللبيب أن يحذرها ويزهد فيها ، لأن الأمر لا يخلو من ثلاث : ذو بصيرة وفطنة يعلم بما معه من البصيرة والفطنة : أن الدنيا عدوة الله سبحانه وهو حبيبه ووليه وأنها نقيصة العقل ، والعقل قيمته . أو هو من ذوي الهمم في عبادة الله تعالى والإجتهاد فحسبه أن الدنيا بلغ من شؤمها ما تمنعه إرادتها ويشغله الفكر فيها عن العبادة والخير فيكف نفسه عنها ، أو هو من أهل الغفلة الذين لابصيرة لهم تبصر أشخاص الخلائق والحقائق ولاهمة لهم تبعثهم على

جمائل الخلائق ، وحسبهم أن يعلموا أن الدنيا لاتبقي لهم ، بل لامحالة يفارقونها أو تفارقهم كما قال الحسن رضي الله عنه : -

« إن بقيت الدنيا لك فلن تبقى لها ، وأي فائدة إذاً في طلبها وإنفاق العمر العزيز في كسبها » . وأما الخلق فحسبك من شرهم إن خالطتهم ووافقتهم في أهوائهم أمت وأفسدت أمر آخرتك وإن خالفتهم تعبت بأذيتهم وجفوتهم ، وكدروا عليك ، ثم لاتأمن أن يلجؤوك إلى معاداتهم ومناوأتهم فتقع في شرهم ، ثم إن مدحوك وعظموك خيفت عليك الفتنة والعجب ، وإن ذموك وحقروك خيف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى ، مع مافي مخالطتهم ومعاملتهم من المطالب الكثيرة والأدب والحقوق الخطيرة التي لايقوم بها ويأتي بمطالبها إلا الفرد ممن اتصف بحقائق الحرية وتخلق بالفتوة والمروءة .

والإتيان ببعضه فضلاً عن كله يضيق عنه نطاق الكتاب ، ولايحتمل النزر منه مثل هذا الجواب وإن كنا إنما استطردنا ما أتينا به في الوصية وإن كان ثم ما حقه أن تقدم عليه توطئة وتمهيداً للجواب عما في مكتوبكم العزيز البالغ الوجيز من الإيماء بإقبال الحكام واستقبال الفنام من أهل الدنيا العظام وماتجد من ذلك من الوحشة والإهتمام والتماس الإشارة مني عليك بماهو الأصوب عندي فيما سبق إليك من نفض اليد من غباره ، والتلوث بوضره وأغماره ، فالذي أشير عليك به - أتحفني الله وإياك بقربه وحبه - ما أجمع عليه أعيان السلف وأعلام الخلف ، من أن الناس أبناء أخلاقهم ورهائن أعراقهم ، فمخالطة أهل الله تعالى مقربة إلى الله تعالى ، ومخالطة أبناء الدنيا موقعة في سجن الدنيا وشرك الهوى سيما الظلمة أول الظلمة ، فإن كان ولابد فلتكن مخالطتك لهم ومعاملتك إياهم لالك ولالهم ، لكن لله بالله ، بل تأمر بالمعروف من قصر ، وتنهى عن المنكر من أتى المنكر وترشد من استرشد ، وترفد من استرفد ، وتنجد من استنجد ، وتسعد من استسعد .

ولتكن كالأرض يطؤها البر والفاجر ، وكالسحاب تظل كل شيء ، وكالمطر يسقي من استمطره ومن لم يستمطره .

وعلى كل حال ، فكن منهم على حذر ، إذ إنما يريدونك لتكميل دنياهم ، ولما يوافق هواهم ، فيوقعونك في المحرمات الصريحة ، فقد قالوا :-

« لاتصحب من لايبالي بعرضه إذا نال من غَرَضِه » وإياك والتجسس على الأمور والتطلع على الأخبار ، فإن من أراد أن لايفوته خبر أراد أن لايفوته ضرر ، ولاتعامل حشمك وعلائقك ومن في معناهم معاملة السيد عبيده ، فإن الله يغار للمسكن ولو كان عاصياً ، واغتنم فيهم دعوة رسول الله ﷺ :-

« اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم ، فاشقق اللهم عليه » وهذا يتناول من له أدنى ولاية في الغالب ، على أن من شأن الرجال ممن له عناية بإنقاذ مهجته ، واتخاذ عدته لوجهته عندما يتأهل أحدهم لأن يكون أسرة ، ويأنس من نفسه الإستخفاف بالمخلوقات في جنب عظمة الخالق بحيث لايختلج في ذهنه طلب نفع من غير الله تعالى ولادفع ضرر من سواه ، قد استوت عنده محمدة الخلق ومذمتهم في غير هتك حرمة الإسلام أن يتصدى للإرشاد إلى الله تعالى والدعوة إلى سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ هذا حيث ظن الإفادة أو تحققها وإلا اشتغل بخاصة نفسه وإنقاذ مهجته ، عملاً بحديث : « إذا رأيت شُحاً مُطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع أمر العامة » رُوي أنه لما هاجت الفتن وظهر التشيع قيل للحسن البصري : « إنك ممن يُسمَع قوله ، ويُشار إليه بالأصابع ، وقد رأيت حال الأمة وماهي عليه من الخلاف والتشيع فهلا أمرت ونهيت ؟ فقال لهم : إذا انفتق البحر فهل يطيق أحد أن يرده بكفيه ؟ فقالوا : لا ! فقال : فكذلك الأمة لأنها كانت على الحق ، فأقبل معظمها على الباطل فلا طاقة لأحد بكفها عنه ، ولقد رأيت رجالاً تعرضوا لأمر والنهي ، وتجردوا لذلك فافتتنوا وهلكوا » .

ولكن تجب العزلة والهجرة إذا شاع الفساد والمنكر ورُدَّ على الناصحين نصحهم ، كما يشهد لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « هجرة في هيجان الفتن وكثرة الهرج كهجرة إليَّ » .

قال صاحب المصباح : « الأمر سواء ، لأن الصحابة فروا من الشرك والمشركين إلى رسول الله ﷺ بدينهم والأتقياء زمن الهرج والفتن يفرون من أهل الظلم والإبداع إلى الله ، ولامنافاة بين هذا الحديث وحديث « لاهجرة بعد الفتح » إذ هذا خاص بزمنه ﷺ وزمن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لسكون الفتن في زمنهم واستقامة الأمة وتعاونها على البر والتقوى ، وكونهم إخواناً في الله ، والحديث المتقدم من أعلام نبوته ﷺ بما فيه من الأخبار بالفتن والهرج الكائن بعده وبيان وجه الحيلة في ذلك الزمن ، وأنه لاحيلة فيه خير من الفرار والهجرة بالدين كما كان ذلك في صدر الإسلام قبل ظهور المسلمين على المشركين واستقامة الأمة على الحق ، كما يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ يعني أنه إذا سكنت الفتنة واستقامت الأمة فلا جهاد حينئذ ولاهجرة ، وإذا هاجت الفتن وفسد الزمان عادت الهجرة بحالها ، والجهاد مع الإمام العادل واجب ، ولما هاجت الفتن في زمن قتل عثمان رضي الله عنه ، اعتزلها عبد الله بن عمر ، فقيل له : « ألست من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولايخفى عليك المحق من المبطل ، فهلا أخذت سيفك ، ونصرت المحق على المبطل ودعوت الناس إلى الحق ، فإن قولك مسموع ورأيك متبوع ، فقال :

« حملناها حين كان حملها لله ولنصر دين الله ، فلما كان حملها لأجل حطام الدنيا ، وكان مما أنزل الله على رسوله وعلينا معه : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ فعلت : وهاأنتم تقاتلون لتكون فتنة ويكون الدين لغير الله ، فلا والله لارفعت رأسي في هذه الفتن ولاسيفي ولانطقت فيها بقول ، فلئن تركت أقمت ولئن قُصدت فَررت وهاجرت إلى الله تعالى بديني ، وأيْمُ الله مع ذلك فلست بأجبنكم قلباً ولابأخملكم ذكراً ولابأخفاكم شخصاً ، ولابأقصركم قناة ، ولكن السبيل أردت وبديني فررت » .

هذا والدنيا كما قال رسول الله ﷺ : « إنها لأسحر من هاروت وماروت » وقال يحى بن معاذ : « الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجئ في طلبك فيأخذك » وقال أيضاً : « الدنيا خمر الشيطان فمن سكر منها لم يفق إلا في عساكر الموتى نادماً بين

الخاسرين » وقال علي كرم الله وجهه : « من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولامن الشر مهرباً ، من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها » .

وقال بعضهم : « الدنيا في حسن منظرها وقبيح مخبرها وصفاء ظاهرها وكدر باطنها ، كمثل حية اجتذبت سموم الهموم بأنياب الغموم في نوائبها ووجوه مصائبها ، فمثل الجاهل بأمرها الغافل عن غدرها المغرور بمكرها كمثل طفل إلى جنبه حية قد أعجبته نعومة جسمها وراقه ما يلوح من نقش وسمها ، فهو يلعب بها ولايعرف عاقبة أمرها وشؤم غدرها ، يظن أنه قد ملكها وظفَر بها ، فبينما هو في غرور سكونها ونعومة لينها ، إذ كشرت عن أنيابها فنهشته وأفرغت فيه سمها فسرى إلى حبّة قلبه وتخلل مجاري الدم من لحمه فلم يجد لها دواء ولالبلائها شفاء ، شغله الجهل بها عن اتخاذ ترياق يقيه واستعمال دواء يشفيه ، فإن أدركه الطبيب اللطيف بسهولة في جوهر الرجوع عنها ، وأرشده إليها بالفطنة فقد نجا ، قال تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال ابن مسعود : « أي طريقي الخير والشر وطرق المفاسد والمصالح وعللها منها ماهو ظاهر ومنها ماهو باطن ومنها ماهو مغيب لحكمة استأثر الله بها ، فينبغي للعبد أن يحسن بالله ظناً ، قال ﷺ : « حُسنُ الظن بالله من عبادة الله » ونكتفي بهذا القدر من هذه الرسالة التي تبلغ زهاء ثمانين صفحة من الصفحات المتوسطة الحجم ، وله العشرات من هذا النوع الذي لو جمع لكان مجلداً ضخماً .

وله أيضاً في الإنسان روحاً وعقلاً ونفساً وهوى وجسداً ، هذه القصيدة الفريدة ، لتعطي القارئ لمحة عنه بعد الرسالة الناصحة .

من لم تُفِده بدائع الإتقان	في كل جزئية من الأكوان
عرفان ذي الجبروت جل جلاله	وكمال قدرته من العميان
كم فيك من من معنى وسرٍ غامض	عن مدرك الأبصار والآذان
منها حقائق أربع معروفة	فهماً وإن غابت عن العينان
الروح والعقل المنير وزيره	والنفس وزارها الهوى الظلمان
ملكان في ملكيهما لن يبرحا	يتجاولان تجاول الأقران
هذا له الطاعات جيش جحفل	لجبٌ وذاك يجيش بالعصيان
والعقل مدرع بتقوى حاجز	وسهامه من نبعة الإحسان
والصدق والورع المزكى والرضى	والزهد في الفاني من الأعوان
وله من الأحصان سبع قرمدت	بالنصر بل عزت عن الإحصان
حصن التوكل والتقى والصبر	والتوحيد والتسليم والإيقان
والشارع المعصوم مالك حلّه	والعقد بالتحريك والإسكان
واللهو والشهوات غايشة الهوى	وزمامه في قبضة الشيطان
والحرب بينهما سجال هكذا	ومآل حزب الله للرجحان
فلكل حق صولة والبطل في	جولاته مفض إلى البطلان
حتى إذا التحم القتال وأضرمت	نار الوغى وتناشب الزحفان
وافت بأمداد تسيل جيوشها	غارات نصر المالك الرحمن
فانفل عسكره الهوى وتبددت	عنه الجموع وقيد للسلطان
فقضى بوضع الكبل في رجل الهوى	والغل مسلوماً إلى السجان
ونفى طريداً خاسئاً شيطانه	بالذل والتتبيب والخسران
واستخدم الروح المحكم زوجة	فعنت له بالذل والإذعان

وقـــضى على أجناده وحـشـوده	بالقــتل والتـشـــريد في الأوطان
فــصـــــفى له من نازع ومنازع	سطانه واخــتــــــص بالسلطان
وعلى المنابر أعلنت خطبـــــاؤه	بالنصر والفتح الكبيـر الشـان
فـحـقـائق الثـقلين طوع مـراده	وقـضـاؤه حـتم على الأعـيـان
هذا الجـهـاد الأكـبـر الفـرض الذي	من لم يقـمـه فظاهر النقـصـان
يكـفـيك طي العــالم العلوي	والسلفي في هيكل ذالإنسـان
أمــضى وأقطع حـجــة لتــفـرد	البــاري بخلق الخلق والإتقـان
فكثـافـة الجـسم المقـوم صـورة	للملك إن أبصـرت كـالعنوان
أشـعـاره الأشـجـار تخـضل تارة	وتشـيب عند تعـاقب الحـدثان
وعـروقـه الأنهـار خـارقـة ومـا	يهـمي به الفكان والجـفنان
الملـح والمر الأجــــاج وبارد	عـذب وسـبع عـدة البـحـران
واللحم أرض والعظام جـبـالهـا	وتشـد بالأعـصــاب كـالأشطان
والجـوف جـو خـارق ورياحـه	كـالرمـســات الذاريات ثمـان
وبه المعــادن والجــواهر قــوبلت	بـالعين والأظفــــار والأسنان
واللحظ والأنفـاس أزمنة كـمـا	دارت بروج الكبش والكيــوان
وكـذا الحـقـائق إن نظرت فـإنهـا	برنامج للعــــالم النوراني
إن قلت فــقــد كـذبت آثارها	أوقلت وجـد تنكر العـينان
والهـمـة العـرش الرفـيع وعـقله	لوح ومـعنى الكفـر كـالميـزان
والبـشـر والخلق السـحـاح فـرادس	والحـرص والشـهـوات كـالنيـران
وتحـار عين الفكر في ترتيـبـه	بشـراً سـوياً ثابت الأركـان
من جـمع أضداد تنافي طبـعـهـا	ومـن التـنـافـي آفــة الأبدان
من ذا يدبر مـثل ذاعن حكمـة	غـيـر الحكيم الواحـد الديان
فـبكل جـارحـة بدائع حكمـة	تهـدي إلى التـوحـيد والفـرقـان

الرسالة العالجة ، الرائقة في العمالة

خطاب من الشيخ سيدي المختار الكنتي الحفيد ،

إلى السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام

الحمد لله الذي أعز وأذل ، وأولى فأجزل ، وحكم فعدل ، وأنعم فأفضل ، وأتم فأكمل ، إذ بين وأنزل ، وحكم وفصل ، فأحق وأبطل ، وحرم وحلل ، ونبأ فأرسل ، وشرع ويسر وسهل فأقبل من أقبل فسعد ، وأدبر من أدبر فنكد ، وتنكل وبَعد وقتل ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

نحمده ونقدسه ونكبره تكبيراً ، فهو الدائم الباقي لا إلى حد ، الواجد الموجود الغني عن كل أحد ، المفتقر إليه كل أحد ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، المنفرد في الملك والملكوت ، بالقهر والجبروت ، والكبرياء والعظموت ، الحي حياة كاملة ، القيوم قيومية شاملة .

وصلواته وتسليمه وتشريفه وتكريمه ، وتمجيده وتعظيمه على خيرته من خلقه ومصطفاه ، وحبيبه من صفوته ومجتباه ، سيد الأولين والآخرين ، المنبأ وآدم منجدل في الطين ، المحب المحبوب المحبور ، المحمد المؤيد المنصور ، وعلى آله وصحبه الأدلة البدور ، وصحابته الأجلة الصدور ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين بالفلاح والغفران .

هذا ، وأنهي بالسلام التام الخالص العام وما يليق بالمقام من التحية والإكرام ، والتبجيل والإحترام والإجلال والإعظام ، والرضوان والإنعام ، والإحسان والإتمام ، والحفظ والرعاية ، والصون والعناية والغنية والكفاية والنصر والتأييد والظفر والتسديد ، والبركة الصافية ، والرحمة الشاملة الغير القالصة الآفلة :

إلى نخبة الأخيار ، وخلاصة خاصة الأحرار ، سلسلة السادات الأبرار ، وخاتمة القادات ذوي الأختار والأقدار ، منبع الفضل والجود ... و من ثبت أصل شجرته وفرعها ... ، وطاب ثمرها ودنت قطوفها للإجتناء ، فكان أعرقها عرقاً ، وأرحبها عذقاً ، الفارع البارع الورع البر

المتواضع ، الساعي في الخبرات المسارع الجهبذ المجاهد أعداء الدين ، حامي بيضة الإسلام عن أعدائه المعتدين ، إمام الأمة القائم بكل الأمة ، الباقعة السامي ، بشيمة الخلف ، الخليفة المستخلف الذي أنشد فيه الحال :

أتته الخلافة منقـادة إليه تجر أذيالهـــا
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

الإمام الحق ، الحاكم بالحق ، وظل الله في أرضه لجميع الخلق ، أمير المؤمنين سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا هشام بن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا محمد بن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا عبد الله بن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا إسماعيل بن سيدنا ومولانا علي الحسيني .

وبعد : سيدي نضر الله أيام دولتك ، ونصر أعلام صولتك ، وأعلى في بروج السعادة مقامك ، وأطال في عافية من ذلك المقام عيشك ومقامك تؤدي بالعدل والإحسان شكر مافيه أولاك وأقامك وتثبت على متن سنن الإقامة والإستقامة أقدامك ، وأجرى بعصمتك من الأوهام في كل أحوالك وأقوالك وأفعالك على لوح توقيع أمره إقدامك ، وسخر لك رياح النصر والرعب تسير خلفك وأمامك .

فليكن في كريم علمك أنا - ولله الحمد وله المنة لعامة المسلمين وخاصتهم من حب خير الخاصة العاجلة والآجلة - لانألو منهم رئيساً ولامرؤوساً ولاسائساً ولامسوساً : نصحاً ، سيما أولو أمر المؤمنين الذين لهم يُوزع أهل النداء ، ويقرع بهم أنف المشاقين الأعداء ، سيما من كان من أهل البيت - المطهرين من الرجس تطهيراً - جامعاً للنسبتين متمسكاً بالسببين ، مجدداً للدين ، مرشداً للمسترشدين ، عدلاً مرضياً قبل أن يرضي ، قد رفض الإمارة بعدما تشبثت بأذياله رفضاً ، وأعرض عنها بعدما عرضت له وعرضت عليه عرضاً ، فلم تزل آخذة بِحِقْوِهِ عائذة به إلى أنه رعاها فرضاً ، وهي كما قيل :-

« من تتبع الرئاسة أعيته ، ومن فر تبعته » فدخلها بالله ولله ، وتوكل على الله ، فمد

بالنصر من الله ، فقطع ووصل في الله ، وأخذ بالله ، وأعطى لله ، وعدل في بلاد الله ، ورفق بعباد الله ، فهو - لعمري - الأحرى الأحق ، والأولى الأخلق ، أن تُخلص له المودة ، وتوظف بنصره واستقامة أمره - آناء الليل وأطراف النهار - الدعوات المرجوة ، وتبذل له النصائح ، وتهدى له التحايا السالية ، وأن يُفدى بالنفوس ونفائس الضنائن المخبئات .

هذا : وقد قدم علينا من ناحيتكم الميمونة الفاضل الأديب الفائق ، الأريب السالك الناسك الصادق الذائق ، سيدي بابا أحمد بن عبد الرحمن ، في وفده المبارك غير خزايا ولاندامى ، فأثنوا عليك بما أنت أهله ، ونشروا من فضائلك ماطوى البين ، وفصلوا وأذاعوا من تقريبك العلماء ، واحتفائك بالعلم وصرفك عنان الهمة إليه ، وإحياء السنة ، وإماتتك البدعة ، ولين جانبك ، وخوفك وتواضعك وعفوك وحلمك وصبرك ووقارك وتوكلك وزهدك وورعك وكرمك ماهو الغاية القصوى المنتقاة ، وقرة العين المبتغاة ، والدليل القاطع على أحقيتك بالإمامة الحقيقية ، وأخلقيتك بالخلافة الحقية اليقينية .

فهيج ذلك من دواعي القديم ، وحرك من جماد الطبع الرميم ، مانفخ في رحم حياته من روحه ، ثم نفخ فيه أخرى فقام ينظر من ضريحه ، فتكلمت القريحة في مهدها ، قبل بلوغ أشدها ، وتكلفت فوق وسعها ، ولم ترجع على ضلعها ، إذ أقدمت على التقدم بين يدي مثلك من ذوي الفهم ، والتقديم بالأمر في الدين والعلم ، وماتوفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه متاب ، فإن أصبْ مارُمته فرمية من غير رام ، والسكوت حمية أولى :

فمن محله كان الخطأ ، وحظ العجيز نقل الخطا وأهل الفضل أستار للعورات ، وقيل للعثرات ، وأقبال للمعذرات ، وماكان من خطأ فأحسنوا مخرجه ، وماكان من صواب فالله ألهمهم وأخرجه . ثم لتعلم أيها المشرع المورد ، والظل المدود أن مايجب لك على عامة الأمة وخاصتها من الحق والطاعات والنصح ، يجب مثله عليك لعامتها وخاصتها من النصح والإرشاد والرفق ، بدليل قوله ﷺ : « اللهم من وليته من أمر أمتي شيئاً فشق عليها فاشقق اللهم عليه ، ومن وليته من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق اللهم به » أو كمال قال .

وأن تحسن كما أحسن الله إليك ، وأن تنعم على من تصله يداك كما أنعم الله عليك ،

وقوله لعلي رضي الله عنه :-

« لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس من صفراء وبيضاء » أو كما قال .

وقوله على ماورد في الصحيحين : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وخاصتهم » يريد ﷺ بالنصيحة لله : الإيمان به ، ونفي الشرك عنه، وإخلاص الإعتقاد في الوحدانية ، ووصفه بصفات الألوهية ، وتنزيهه عن النقائص ، والقيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، والإعتراف بنعمته وشكره عليها ، والإخلاص له في جميع الأمور ، فقد روى أحمد بن حنبل عنه ﷺ : « قال الله عز وجل : أحبُّ ما تعبد به عبدٌ النصح لي » وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه ، فإنه سبحانه غني عن نصح الناصحين ، وعن جميع العالمين .

والنصح لكتابه - أي كتبه المنزلة - بالإيمان بها وأنها من عنده وتنزيله ، وتميز القرآن من بينها بأنه لايشبهه شيء من كلام المخلوقين ، ولايقدر أحد على الإتيان بمثل أقصر سورة ، وتلاوته بخشوع ، وإقامة حروفه في التلاوة ، والتصديق بمافيه ، وتفهم علومه ، وإكرامه ، والإعتناء بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمشتبهه ، والبحث عن ناسخه ومنسوخه ، وعمومه وخصوصه ، وسائر وجوهه ، ونشر علومه ، والدعاء إليه .

والنصيحة لرسوله بالتصديق برسالته ، والإيمان بما جاء به ، والتزام طاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، وإعظام حقه ، وإحياء سنته ، والنفقة فيها ، والذب عنها ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وصحبه .

والنصيحة لأئمة المسلمين من كل قائم بأمور المسلمين ، والإمامة أعم من الخلافة ، إذ كل خليفة إمام ، ولاينعكس ، إذ هي على أربعة أوجه :

- إمامة وحي : وهي النبوءة .

- وإمامة وراثة : وهي العلم .

- وإمامة عبادة : وهي إمامة الصلاة .

- وإمامة مصلحة : وهي الخلافة .

فنصيحتهم بمعاونتهم على الحق ، وأمرهم به ، وتذكيرهم به بلطف ورفق ، وإعلامهم بما غفلوا عنه من أمور المسلمين وحقوقهم ، والدعاء بالصلاح لهم ، وترك الخروج عليهم ، والجهاد ، وأداء الزكاة إليهم ، وامتثال أمرهم .

ونصيحة العلماء : بقبول ما رووه ، وتقليدهم في الأحكام ، ونشر مناقبهم ، وحسن الظن بهم ، وليس المراد بهم من تزيا بزيهم وادعى العلم وأكل الدنيا بالدين ، فإن نصحهم ونصح عامة المسلمين : أن ينسلخوا عمّا هم عليه ، قال سهل بن عبد الله :

« لايزال الناس بخير ماعظموا السلطان والعلماء ، فإذا عظموا هذين ، أصلح الله دنياهم وأخراهم ، وإذا استخفوا بهذين أفسد الله دنياهم وآخراهم » .

والنصح لعامتهم بإرشادهم أخراهم ودنياهم ، وكف الأذى عنهم ، وتعليمهم ماجهلوا ، وستر عورتهم ، وتأمين روعتهم ، وسد خُلتهم ، ومحبته لهم ما يحب لنفسه ، وعدم غشهم .

وبدأ ﷺ - بالله ، لأن الدين له حقيقة ، وثنى بكتابه الصادع ببيان أحكامه ، المعجز ببديع نظامه ، وثلث برسوله الهادي إلى دينه ، الموقف على أحكامه ، المفصل جميع شرائعه ، وربع بأولي الأمر الذين هم خلفاء الأنبياء ، القائمون بسنتهم ، وخمس بالتعميم ، وإنما خص أهل الإسلام بالنصح لأنهم أقرب إلى الإجابة من أهل الذمة ، وإلا فنحن ننصح أهل الذمة بالإرشاد للإيمان ، ومن باب التغليب لشرفهم على أهل الذمة .

وإياك - سيدي - والشبع من العلم والزهد فيه ، ولو بلغت فيه كل مبلغ ، واجتمع عندك من العلماء مافيه مقنع ، ولاتقصر في نشره وتجديده ، والحمل على تعلمه وتعليمه ، والحض على العمل بمقتضياته في تحليله وتحريمه ، ومكروهاته ومندوباته ، كما كان حياة مستخلفك فريد الزمان ، وعين الأعيان ، مولانا سليمان - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - مما شاع وذاع

في أقطار البلاد النازحة ، وطار شعاعه على لسان كل سارحة ورائحة ، حتى أغنى الخبر فيه عن العيان من اعتنائه بنشر العلم وتعليمه ؛ إذ كان - فيما بلغنا - يأمر بجمع اليتامى والسؤال فيجري عليهم الأرزاق ، ثم يدفعهم إلى من يعلمهم ، ويرتب لهم على حفظ القرآن راتباً ، ثم على إتقان العقائد ، ثم على قراءة مختصر خليل ، ثم على خلاصة ابن مالك ، ثم على التسهيل له ، ثم على فريدة الحافظ السيوطي ، ثم على التنقيح ، ثم على المفتاح وتلخيصه ، ثم على جمع الجوامع ، ثم على الصحاح ، ثم على تفسير القرآن : كل مرتب يزيد على مادونه من العشر إلى المئات إلى الألف ، فاعتنى الناس بالعلم وتعلمه وتعليمه أيامه ، عنايتهم بالتَّجر أيام من قبل ، فكثر العلم وانتشر ، ونما علمه واشتهر إلى غير ذلك من جمائل أسراره ومحاسن آثاره التي أنتم أحوط بها علماً وأبصر بها عيناً ، لمشاهدتهكم كل ماينقل إلينا بعضه وقد وافت ولايته الميمونة إقليم المغرب ، وقد كاد يجتث منه أصل العلم ، وينتقض منه أس العدل ، وما استخلفك رحمه الله إلا نُصحاً منه للأمة وشفقة عليها ، وعلماً منه بمافيك، وكفى بذلك شهيداً على أفضليتك ونصيحتك على النحو الذي قدمنا ، إذ لو كان مؤثراً لهواه وحظ نفسه لآثر بها من هو أقرب إليه منك ، وغلب على الظن حبه له دونك وهو أيضاً أدل دليلاً وأقوى حجة على حقّيّة خلافتك - متع الله الإسلام بطول حياتك ، ورغم بسيف العزأ نوف أعداء الدين وأعدائك.

ثم لتعلم أن منزلة العلم هي المنزلة العظمى ، والمرتبة الشما ، الكفيلة بالرشد ، والهدى والصلاح ، والناس كلهم محتاجون إلى العلم ، وهو زينة لهم ووسيلة ، وأشد الناس احتياجاً إليه وأكملهم زينة به الأمراء ، لكونهم أكثر الناس عيالاً وأتباعاً وحشماً ، والناس كلهم مستمدون من أخلاقهم السنية ، وسيرهم العالية ، مفتقرون إليهم في الأحكام ، وقطع التشاجر والخصام ، فهم أحوج الخلق إلى معرفة العلوم وجمع الحكم ، وشخص بلا علم كبلاد بلا أهل .

فأفضل مافي الأمير خصوصاً وفي الناس عموماً : التحلي بالعلم وصحبته ، والشوق إلى سماعه ، والتعظيم لحملته ، وإن كان الأمير خالياً من العلم ركب هواه وأضر برعيته ، كالدابة

بلا رسن ، تمر في غير الطريق وقد تتلف ما تمر عليه وليس أحد من أهل علم الدرجات السنية والمراتب العلية أحوج إلى مجالسة العلماء ، وصحبة الفقها ، ودَرْسة كتب العلم والحكم ومطالعة دواوين العلماء ، وسير الحكماء ، من الأمراء والسلاطين وذلك لوجهين :

– أحدهما : أنهم نصبوا لممارسة أخلاق الناس وفصل الخصومات وقضية المحاكمات ، وكل ذلك يحتاج إلى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة قوية ودراسة طويلة ، فإذا لم يعدوا لهذه الأمور عدتها فكيف يكون حالهم .

– الثاني : أن ماعداهم من الناس لايعدمون من يعارضهم وينكر عليهم ويذكرهم بمساوئهم ويخالفهم ، فيكون ذلك معيناً على رياضة أنفسهم ، وحاملاً لهم على مراشدهم ، من مراجعة الحق ، وتحقيق ما أخذوا من الأحكام ، ثم مناظرة الأكفياء ، والنظراء تُنَقِّح عقولهم ، وتهذب نفوسهم بخلاف الأمراء فإن ارتفاع درجاتهم تقطع عنهم جميع ذلك ، إذ لا يلقاهم ولايجالسهم إلا معظم لهم ، مبجل لشأنهم ، مادح لهم بما ليس فيهم ، متبع لهواهم لامتبع للعلم ، وقد قال ﷺ :-

« لايتم إيمان أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » أو كما قال ﷺ .

ولايجيبونهم إلا بقولهم : صَدَقَ الأمير ، ونَعَمْ سيدي ، بارك الله في عمر سيدي ، أو قولهم : نظر الأمير أوسع ، ونحو ذلك ، فلا يصلح مثل هؤلاء للصحبة ولاتصلح لهم ، وعلى قدر علو المرتبة يكون قبح السُقْطة .

فاجعل أيها الأمير التقوى شعارك ، والعلم دثارك ، والعمل إزارك ، والحلم حليتك ، والوقار تاجك ، والعفاف والورع منهاجك ، والصبر جندك والشكر مددك ، واعلم أن ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ويوصى بطاعته ، ولاأحد أجل قدراً من أن يستوصي بطاعة الله ، ويتعلم أحكامه ، ويتصف بصفاته التي منها العلم الذي وصف به نفسه ، وتمدَّح به فقال عز وجل ﴿ وسع كرسيه المساوات والأرض ﴾ وكرسية : علمه ، وقال ﴿ وأحاط بكل شيء علماً ﴾ .

وإذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك والأشراف وذوي الأقدار والشيوخ فيه أولى وأجل ،

ولذا الخطأ منهم أقبح ، والإبتداء بالفضيلة فضيلة وبالجملة فيما يذكر من حاجة الرعية إلى العلم ، فحاجة الأمير - وهو المستدعى إليه - أكثر ودواعيه إلى اكتسابه أشد ، لأن من عداه إنما يكتسبه من جهة مطالبة الشرع له في نفسه ؛ فيقرب عليه تحصيل مايطالب به من ذلك ، والأمير منتصب لسياستهم وتعليمهم وتقديم أولاهم ، فهو إلى العلم أحوج ، وقد قال بعض الحكماء :

« كل عز لايؤيده علم مذلة ، وكل علم لايؤيده عقل مضلة » .

وكيف يستنكف ملك أو ذو منزلة عالية عن طلب العلم وقبوله من مفيده ، وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام إلى مجمع البحرين في أقصى المغرب على بحر الظُّلمة ، إلى لقاء الخضر ليتعلم منه ، فلما لقيه ، قال له ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ وهو نبي الله تعالى ودليله ، وهذا باب يطول تتبعه ، وقد قالوا :-

« السلطان سوق لما ينفق مما أتي به إليه »

فإن يكن للبر والمودة والعلم والديانة عنده نفاق تُقُرِّب إليه بها ، ووفدت عليه أربابها ، وتوجهت إليه هممهم ، وكثرت رغبة الناس في البر واكتساب العلم واقتناء الفضائل ، تقرباً إلى السلطان ، وانتشر ذلك في الآفاق ، وإن لم يكن لذلك في سوقه نفاق بل نفقت أضدادها ، تقرب إليه أيضاً بها ، وانعكس الأمر بذلك ، فشاع الفجور والجهل والدناءات في الآفاق ، وسمع زياد رجلاً يذم الزمان فقال : لو كان يدري ما الزمان لاعتنقه ، إن الزمان هو السلطان ، وقال معاوية لابن الكوفي : صف لي الزمان ؟ فقال له : أنت الزمان ، إن تصلح يصلح ، وإن تفسد يفسد » .

والمثل السائد في كل زمان وعلى كل لسان : « الناس على دين الملك » وقال أزدشير لابنه :-

« يا بني إن الدين والملك أخوان لاغنى لأحدهما عن الآخر ، فالدين أسٌ ، والملك حارس ، ومن لم يكن له أس فمهدوم ، ومن لم يكن له حارس فضائع ، يا بني اجعل حديثك مع أهل

ولذا الخطأ منهم أقبح ، والإبتداء بالفضيلة فضيلة وبالجملة فيما يذكر من حاجة الرعية إلى العلم ، فحاجة الأمير - وهو المستدعى إليه - أكثر ودواعيه إلى اكتسابه أشد ، لأن من عداه إنما يكتسبه من جهة مطالبة الشرع له في نفسه ؛ فيقرب عليه تحصيل مايطالب به من ذلك ، والأمير منتصب لسياستهم وتعليمهم وتقديم أولاهم ، فهو إلى العلم أحوج ، وقد قال بعض الحكماء :

« كل عز لايؤيده علم مذلة ، وكل علم لايؤيده عقل مضلة » .

وكيف يستنكف ملك أو ذو منزلة عالية عن طلب العلم وقبوله من مفيده ، وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام إلى مجمع البحرين في أقصى المغرب على بحر الظُّلمة ، إلى لقاء الخضر ليتعلم منه ، فلما لقيه ، قال له ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ وهو نبي الله تعالى ودليله ، وهذا باب يطول تتبعه ، وقد قالوا :-

« السلطان سوق لما ينفق مما أتي به إليه »

فإن يكن للبر والمودة والعلم والديانة عنده نفاق تُقُرِّب إليه بها ، ووفدت عليه أربابها ، وتوجهت إليه هممهم ، وكثرت رغبة الناس في البر واكتساب العلم واقتناء الفضائل ، تقرباً إلى السلطان ، وانتشر ذلك في الآفاق ، وإن لم يكن لذلك في سوقه نفاق بل نفقت أضدادها ، تقرب إليه أيضاً بها ، وانعكس الأمر بذلك ، فشاع الفجور والجهل والدناءات في الآفاق ، وسمع زياد رجلاً يذم الزمان فقال : لو كان يدري ما الزمان لاعتنقه ، إن الزمان هو السلطان ، وقال معاوية لابن الكوفي : صف لي الزمان ؟ فقال له : أنت الزمان ، إن تصلح يصلح ، وإن تفسد يفسد » .

والمثل السائد في كل زمان وعلى كل لسان : « الناس على دين الملك » وقال أزدشير لابنه :-

« يا بني إن الدين والملك أخوان لاغنى لأحدهما عن الآخر ، فالدين أسٌ ، والملك حارس ، ومن لم يكن له أس فمهدوم ، ومن لم يكن له حارس فضائع ، يا بني اجعل حديثك مع أهل

المراتب ، وعطيتك لأهل الجهاد ، وبشرك لأهل الدين ، وسرك لمن عناه ماعناك ، ولتكن من أهل العقل » .

وكان يقول :-

« الدين والسلطان توأمان »

وأوصيك أيها الإمام الأمين ، والخليفة الميمون بإظهار الرغبة فيما يرد عليك من النصائح والوصايا ممن لاتستغشه ، فذلك أدعى لأمن الناس منك في بذلهم لك ما أطلعوا عليه بما يحسن لك الأخذ به أو بعكسه ، فإن ورد عليك ما استحسنت أخذت به وعملت بمقتضاه ، وإن كان غير ذلك نحيته عنك ولم يضرك ، وشكرت لمهديه إليك مقصده ، وقد حكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : « رحم الله رجلاً أهدى إليّ عيوبي » .

ونصح خالد بن سعيد بن العاصي برأيه أمير المؤمنين أبا بكر رضي الله عنه ، حين أراد أن يودعه سائراً إلى الشام ، فقال : « يا أبا بكر إن الله - تبارك وتعالى - قد أكرمنا وإياك والمسلمين عامة بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة وأمات البدعة وعدل في السيرة : الوالي على الرعية ، وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالي أعم نفعاً ، فاتق الله يا أبا بكر فيمن أولاك أمره ، وارحم الأرملة واليتيم ، وأعن الضعيف والمظلوم ، ولايكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك بالحق منه إذا سخطت عليه ، ولاتغضب ما قدرت على ذلك ، فإن الغضب يجر الجور ، ولاتحقد على مسلم وأنت تستطيع ، فإن حقدك على المسلم يجعله لك عدواً ، وإن اطلع على ذلك منك عاداك ، وإن عادى والٍ الرعية وعادت الرعية الوالي ، فإن ذلك قمن أن يكون إلى هلاكهم داعياً ، ولِن للمحسنين ، وشد على المريبين ، ولاتأخذك في الله لومة لائم » .

ثم قال : « هات يدك يا أبا بكر فإني لاأدري أنلتقي في الدنيا معك أم لا ، فإن قضى الله لنا في الدنيا التقاء - فسأل الله عفوه وغفرانه ، وإن كانت الفرقة التي ليس بعدها التقاء - فعرفنا الله وإياك وجه النبي ﷺ في جنة النعيم » فأخذ أبو بكر يده فبكى ، وبكى خالد ،

وبكى المسلمون .

فانظر - رحمك الله وأيدك وإلى مافيه العدل والصلاح سددك - إلي تواضع هذين الصديقين وإنصافهما ، وتحليهما بالطمأنينة واتصافهما ، وبتصفح سيرتهما يلوح لك أن الكمال والفضل في غير الاستغناء عن علوم الرجال وعقولهم وآرائهم وآدابهم .

وعليك - كشف الله عن بصائرنا وبصيرتك حجب كثائف الطباع ، وجعلنا وإياك ممن وفق لحسن الإتباع - بخفة الحجاب دون رعيتك ، فإنه لم ينقل إلينا واش ولاحاسد ولاعام ولاخاص قديماً وحديثاً من سيرتكم من عهد أمير المؤمنين مولانا سليمان إلى الآن ماينقم حاسد ، أو ينقد بصير ناقد ، شدة الحجاب ، ودفع البواب الشكاة المظلومين قبل انتهاء شكايتهم ، لأخذهم على ذلك الرّشا من الظلام الغصاب ، ومكث المظلوم الشهر والشهرين على الأبواب ، لايستطيع إبلاغ حاجته ، ولايجد من يبلغها عنه ، حتى ينصرف بغيرها أو يبلغها بعد جهد جهيد وعلاج شديد ، وقد يحتسب أكثرهم على رفع الشكاية ، لعلمه بطول تردده على الأبواب ، وشدة من العمال وتمالئهم وترشيهم على عدم إيصال الشكايات ، فيضيع بذلك كثير من الناس وحقوقهم ، فاعمل الحيلة في تخفيف الحجاب وتخويف الحجاب وزجرهم عن دفع ذي الحاجة المحوجة والشكايات فقد قيل :-

« لاشيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب » وقد أكثر الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي في وصيته للسطان الحاج محمد السيكي : « أصل كل بلية ، احتجاب السلطان عن الرعية » وقد قيل : « إذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم وإذا اشتد الحجاب هجمت على الظلم » .

وقال ميمون بن مهران :

« كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه : من بالباب ؟ فقال : رجل أناخ الآن وهو يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله ﷺ ، فأذن له ، فلما دخل عليه قال : « حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ولي شيئاً من أمور المسلمين ثم حجبهم عنه حجبه الله يوم

القيامة » فقال عمر لحاجبه : الزم بيتك ، فما رئي على بابه بعد ذلك حاجب .

وكان خالد بن عبد الله القسري يقول لحاجبه : إذا أخذت مجلسي فلا تحجب عني أحداً ، فإن الوالي لايحتجب إلا لثلاث : غي يكره أن يطلع عليه أحد ، وريب يخاف منها أن تظهر عليه ، وبخل يكره معه أن يسأل شيئاً .

وقال عمرو بن مرة الجهني لمعاوية : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن أمير يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسألة إلا أغلق الله أبواب السماوات دون حاجته » .

وقد أورد شيخنا الوالد في شرحه « الروض الخصيب على نفح الطيب » اختلافاً في مشروعيته الحجاب للحاكم فقال : « قال قوم : ينبغي له أن لايتخذ حاجباً ، وذهب آخرون إلى جوازه ، وقال آخرون : بل يستحب وقد قال : ولو قيل بوجوبه لم يبعد لفساد الأمة وظهور الشر وعدم انقياد العامة إلى الحق ، فيكون الحجاب سبباً لترتيب الخصوم ومنع المستطيل ودفع الشرير » ا.هـ .

وانظر - نظر الله إلينا وإليك بعين عصمته ووفقنا جميعاً بفضله ورحمته - إلى مافي الإحتجاب من الآفات والفوائد ، فما رجح عندك فاعتمد عليه ، فإذا أمنت الفتنة ولم تخف مفسدة أعظم ، فأولى لك وأولى ، ثم أولى لك وأولى ثم أولى لك وأولى : عدمه ، ولو وقتاً معلوماً من النهار ، أو يوماً مسمى من الأسبوع يرتقبه ذو الحاجة والخلة ، فيجتمعون لميقات ذلك الوقت المعلوم أو اليوم المسمى ، فلا تبقى حاجة إلا قضيت ولاخلة إلا سُددت ، ولامظلمة إلا ردت ، وإن لم تؤمن الغائلة ، فسَدُّ ذريعة الفتنة وغلق بابها مقدم ، لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ، فيكون الإحتجاب حينئذ غير مذموم ولامنقوم ، مع أنه لايمتنع اتخاذه لمصلحة أو لدفع مفسدة ، من كون القهارمة والحجاب أمناء نصحاء أولي ديانة ومروءة، ينصرون المظلوم وينجدونه ، لاتأخذهم في الله لومة لائم ، ولاتستميلهم رشى ظالم ، وإن تعذر وجود من هذه حالته استفرغ المجهود في استنتاج سياسة تكون موافقة لسنته يرتفق بها هذا الفتى ، فلخير كله في الإتباع ، والشر كله في الإبتداع .

فقد كتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عمّاله يعلمه بما وجده في الموصل من كثرة السرقة والنهب ، ويسأله أن يأخذ الناس بالظنة ويضربهم على التهمة ، أو يخذهم بالبينة وماجرت عليه السنة ؟ فكتب إليه : « أن خُذهم بالبينات وماجرت عليه السنة ، فإن لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله » ففعل العامل ذلك ، فما خرج من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونهباً ، ومن أعظم آفات شدة الحجاب ماوقع من دخول الإفرنج : دمره الله من النصارى - مصر القاهرة ، واستيلائه على نواحيها والدرب كله على مدة ثلاثة أعوام أو أربعة ، والسلطان سليم العثماني لايشعر بذلك ، ووزراؤه وعماله يخفون ذلك عنه ، حتى احتال رجل من المغاربة يدعى الجزار ، فأعلم السلطان ففرج الله على المسلمين ، وحكايتهم معلومة مشهورة ، فلا نطيل بذكراها .

واعددْ الولاية بلية ، ولاتَعدُدها نعمة إلا من رحم ربك ، واعتصم بحول الله وقوته ، وتبرأ من حولك وقوتك .

واختر لجيوشك من القواد أكملهم عقيدة ، وأتمهم ديانة ، وأقواهم نصيحة ، وأشدهم على أعداء الدين شكيمة ، كسيدي محمد بن الطيب بن سيدي محمد وأشباهه ، فأسد يقود ألف قرد خير من قرد يقود ألف أسد .

واستعمل الحلم ، فهو زينة الأمراء وخلق الأنبياء ، وقد يقال : « العز والغلبة بالحلم » وفي التوراة « لاينبغي للإمام أن يكون جائراً ومن عنده يلتمس العدل ، ولا العالم أن يكون سافهاً ومن عنده يقتبس العلم لأن العز والغلبة بالحلم » وقال سيدنا عمر رضي الله عنه : «ليت شعري متى أشفي غليلي : أحين أقدر يقال لي لو عفوت ! أم حين أعجز فيقال لي : لو صبرت!» .

وقال أيضاً رضي الله عنه : « لايصلح الوالي إلا بأربعة خصال إن نقصت واحدة لم يفلح له أمره : قوة على جمع المال من أبواب حله ، ووضعه في محله ، وشدة لاجبروت فيها ، ولسان لاوهن فيه » والله تعالى يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى ، ويقضي لنا ولكم بخير القضاء ثم

- لتعلم سيدي - أن هذا الوفد المبارك قد أبلونا من جملة ما أبلغونا عنك من الفضائل والمحامد : شدة تشوقك وتعطشك ، إلى تآليف الشيخين : الوالد والجد ، وقد قدمت بين يدي نجوى كتابي إليك شرح الشيخ الوالد المدعو بـ « الروض الخصيب على نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب » للشيخ الجد الكبير ، هدية صغيرة الجرم ، كثيرة العلم ، قليلة العدد ، كثيرة المدد ، نافعة مفيدة ، نسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، عملاً بقول رسول الله ﷺ : « تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » وفي الحديث : « الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر » .

وقال بعضهم : « يفرح بالهدية خمسة : المهدي إذا وفق للفضل ، والمهدى إليه إذ كان أهلاً لذلك ، والحمال إذ كان توسط فيها ، والملكان الكاتبان لحسناتهما » .

ولو كان عندنا أنفس من الكتب لأهديناه إلى الحضرة المشرفة ، فالقليل منها كثير ، والصغير منها كبير .

وإن تفضل سيدنا بأن يبعث إلينا شرح الكلاعي ، وشرح الإمام ابن حجر على البخاري بتمامه ، فقد أنعم وتمم ، ومن منة هولها أهل ، ولاينقصني شكرها ، ولاينفذ ذخرها ، إذ لايوجدان إلا عند مثلك ، ولايسمح بها غيرك ، وهو من باب إيصال الخير إلى الغير المعدود من أفضل أعمال البر ، وإن جعلتهما في يد حامل الكتاب إليك فكأنما جعلتهما في يدي .

وأوصيك - سيدنا - بتلا مذتنا المتنسبين إلينا ، الكائنين تحت كنف ولايتك - خيراً وإحساناً ، فالله يجازيك من خير خليفة وإمام ، خيرما يجازي والياً عن رعيته .

والسلام على من بالحضرة الشريفة عموماً ، وخصوصاً : العلماء ورؤساء الأجناد ، وأوصيهم بتقوى الله وطاعة أميرهم ونصحه وتذكيره ، وإعانته بالأنفس والأموال ، والرغبة في الجهاد ، وإخلاص النية فيه بقصد أن تكون كلمة الله هي العليا ، والثقة بوعد الله عليه وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ أمر بالسمع والطاعة لولي الأمر - ومناصحته ومحبته والدعاء له » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميراً فقد أطاعني ، ومن عصى أميراً فقد عصاني ».

وسُئل كعب الأحبار عن السلطان فقال : « ظل الله في أرضه ، من نصحه اهتدى ، ومن غشه ضل » وعن حذيفة : « لاتسب السلطان ، فإنه ظل الله في الأرض ، به يقوم الحق ، ويظهر الدين ، وبه يرفع الله الظلم ويهلك الفاسقين » .

عصمنا الله وإياكم من الزلل ، ووفقنا وإياكم لصالح العمل إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من الشيخ باي بن الشيخ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي محمد (الخليفة) بن الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى ١٣٤٨/٤/٢٨هـ .

من أسير حوبه ورهين كسبه إلى ثمرة قلبه وسلالة أشياخه الأمير المأمون بن حمادي أعم السلام وأطيبه وأكرمه ، وبعد :

فإنا بخير كما تحب ، نحمد الله إليك ونسأله أن تكون فوق ماتحب ونحبه لك ، ونحمد الله إليك ونشكره ونسأله أن يحفظك من مكر كل ذي مكر وشر كل ذي شر ، إنه القادر على ذلك . ثم إني منذ مدة ، وأنا متشوق إلى من ألقاه عنك وما أسمع من خبرك ، فلم أجد أحداً ولم يتيسر توجيه أحد إليك لفقد مايركب ، وكنت أظن أن الحال سيساعد على الوقوف عليك للزيارة ولطلب خواطر من هناك ممن تشعب أمره وأفسد عليه الشُحُّ صواب رأيه وأعمى اتباع الهوى نور بصيرته ، ولكني مازلت عازماً على ذلك إلا أن يشاء ربي شيئاً ، والذي أقوله لك الآن ثلاث كلمات :

الأولى : أن تقصد بكل قول وعمل وجه الله ، وأن لاتهمل شيئاً من وظائف دينك ، فمن أصلح سريرته أصلح الله علانته ، ومن أصلح مابينه وبين الله أصلح الله مابينه وبين الناس ، ومن كان لله كان الله له .

الثانية : أن تصبر على الدائرة كلها وأن لاتضجر مما تسمع أو ترى منها ، فلك في ذلك خير كثير ، والدائرة كلك وحملك الذي ألقاه عليك من غبر من صالح سلفك ، فعار إهمال أمره والتبرم من حمله ، فاستعن بالله واصبر ودار ولاتداهن وعامل بالجميل واعف عن المسيء وتذكر قوله تعالى : ﴿ ولاتستوي الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقلها إلا ذو حظ عظيم ﴾ وقد كان رسول الله ﷺ يُقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفه بذلك ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تُنتهك حرمات الله .

الثالثة : أن تنبذ الشهوات والملاهي ، وتلزم الجد فإن الأمر جد والموعد قريب ، والأمر بآخره ، ومن أهم الأمور عندي ومن أحبها إلي أن تركب حتى تنيخ عند كل من في قلبه شيء من العشيرة ، حتى تصفى خواطرهم وتصلح بينهم مع كبرائهم بما أمكن وتواعدهم بعزم منك بالرجوع عما لايعدونه حقاً ولاتأتيهم بجمع كثير ولاتسألهم شيئاً ، والذين أسمع عنهم شيئاً الآن : أبناء ملوك فهم أولهم وأولاهم بالإستصلاح لأنهم إخوانك في السراء والضراء وأحِبَّةُ سلفك المختصون بهم ، وقد تفرقوا شذر مذر ، فلُمَّ شعثهم واعف عنهم عفا الله عنك ولاتحتقر أحداً منهم ، وأما أبناء سيدي المختار فلا يصح الإعراض عنهم إما بجمعهم كما كانوا وذلك أحسن وأكمل ، وإما بتفريقهم إن لم يمكن إلا ذلك ، وفي ذلك مافيه ، وأما الرقاقدة فقد انفردوا بأمرهم ومع ذلك فلا يحسن إهمالهم ولايمكن الإعراض عنهم إذ هم العشيرة والأصل وقد جاء في حديث : « أنه ﷺ رأى أرحاماً متعلقة بالعرش تدعوا على قاطعها وكان بينها وبين القاطع بضعة عشر أباً » والرقاقدة أدنى من ذلك .

وأما أبناء صالح أعني أبناء اعمر فالحق تقديم واحد منهم عليهم ، إذ هم عشيرة على حدة ولاتجعل بينك وبينهم واسطة من غيرهم ، وماجمعهم من تقدمك - رحمه الله وأحسن إليه - وجمعنا وإياه في مستقر رحمته - مع أحد فافعل بهم مثل ذلك وقربهم فإنهم من أمثل العشيرة .

وخالك وأقرب الناس إليك سيدي علي بن محمد واجد عليك لشيء سمعه عنك ، وأنا عالم أن ذلك كذب ، ومع ذلك فلا تتركه حتى تصفي خاطره .

وسيدي المختار لك زمن لم أسمع أنك أرسلت له في أمر مما ينوبك ، فإنا لانقبل عدم ذلك فأرسل في كل نائبة ، ويكفي من البخل ألا تعان في العيال وفي كل أمر هو مختص بك ، فكيف بملزوم الفرنساويين الذي لامقام إلا به ولاقدرة لك علي حمله ، ويكفينا عدم تكليفنا بكثير من أمور المؤنات - لاجعل الله لهم ولالغيرهم قدرة على إرهاقك مالاتقدر على حمله - هذا ، ولاتعرض عن أمر العشيرة بل شمر وأصلح ما اختل من الأمر وليتني وجدت فسحة حتى

آتيك هناك ونترافق حتى ننيخ عند كل من في قلبه شيء من العشيرة ونصفي خواطرهم ، وما أرسلت حامله إلا لرؤيتك والنابة عني في ذلك فلا يحط رحله .

ثم إني مريض مرضاً لا أردي ماهو ، وذلك من زمن ذهابك من عندنا وهو شيء في الكشح بين القصير وعظم الظهر فتارة يتخيل لي أنه ذات الجنب وتارة لا أدري ماهو ، ومع ذلك فإني في كل الأمور نحمد الله إليك ونشكره ونسأله أن يُيسر لك كل صعب ويؤمنك كل رُعب .

والسلام

فهذه لمحة عن المدرسة الكنتية وعن مؤسسها الشيخ سيدي المختار الكنتي وعن أبنائها وأحفادها ، ولو قدمنا مالدينا مما قدموه للإسلام والمسلمين ، لاحتجنا إلى مجلدات ، ومع هذا لم نجد هذا الطالب ذكر هذه المدرسة حينما ذكر عدة مدارس في رسالته في ص ٨٢٨ :

« أنها تحتاج الدعم وتستحقه ولم تكن في تلك البلاد مدرسة أهم من هذه المدرسة ولاأعم وأشمل نفعاً للإسلام والمسلمين في جميع المجالات » .

لكن هذا يرجع إلى أحد الأسباب التالية أو هما معاً :

أولاً : أن يكون هذا الطالب لايعرف شيئاً عن هذه المدرسة ولاعن رجالها وفي هذه الحالة يكون هجومه هذا بهتاناً وزوراً مبيناً .

ثانياً : أن يكون الذي حمله على هذا الهجوم الحقد والحسد ، وفي هذه الحالة يكون معذوراً لأن العداوة الناشئة عن الحسد لاتزول إلا بزوال صاحبها كما قيل في هذا المعنى :

كل العداوات قد ترجى إزالتها	إلا عدواة من عاداك عن حسد

ولنختم هذا بأبيات من قصيدة للشيخ سيدي بن المختار بن الهيب ، يذكر فيها بعضها من محاسن هؤلاء الرجال أصحاب هذه المدرسة ولاشك أن بيتاً واحداً منه يدحض جميع ماجاء به طالب الماجستير وهو نفسه لاينكر هذه الحقيقة :-

لله أهل معان عين رفدهم	فيها جميع مريد الرُّفد مغموس
وأهل حضرة قدس من يجالسهم	بالطهر لم يغشه في الدهر تنجيس
وأهل سوق نفوس من يساوقهم	بالنفس لم يخزه خسر وتبخيس
أكرم بمن جمعت في طرف جمعهم	من لؤلؤ الفضل شتاه المنافيس
ومن بسيماهم آل النبي لنا	مأثور سيماهم باد ومدروس
فالأم عائشة والبعل سيدنا	المختار والسوس من كليهما السوس
العلم علمهم والحلم حلمهم	والقسم قسمهم والأثر مقسوس

أكـرم بدوحـة آل الشـيخ قـاطبـة من ساس مستخلفاً منهم ومن سيسوا
أكـرم بهـا دوحـة أفنانهـا عنن وأصلها في أصيل المجد مرمـوس
قـوم صـغـيـر بينهم في أكـابر من سـواهم أشـمط الفـودين قـدمـوس
شم العــرانين أعــلاق يضن بهم شــهب هداة مطاعـيم مـداعـيس
بيض الوجـوه إذا شـهب السنين بدا منهـا على أوجـه الأجـواد تعبـيس
تلقي البـغـاث بزاة في منازلهم والسـيـد فـيـهن ليـثـاً كنه خـيس
صنوج كـفـة رجح مـا يعـادلهم كل الوجـود إذا بجـمـعـه قـيـسـوا
هم الملوك الألى سلطانهم خـفـقت له على النخـوة الشـوس القدامـيس
هم الضنائن في الدنيـا وطائفـة بهـا حـمى الحق مـحـمي ومحـروس
عـضت على الملة البـيـضـا نواجذهم في ليل هرج طغت فـيـه الخنافـيس

ونتوقف الآن عمـا كنا بصدده وإن كنا لم نأت منه بمافيـه الكفاية لقلته ، لكنه يعطي للمطلع عليه كيف كان منهج هؤلاء الرجال في إحياء السنة وإماتة البدعة والدعوة إلى الله تعالى لأن هذا هو مطلبنا الأساسي من هذه السطور التي قدمناها بعدما شوه هذا الطالب سمعتهم عند من لايعرفون عنهم شيئاً سوى ما قدمه هُوَ لَهُم .

ونعود إلى لب القضية وأساسها وهو نقد طالب الماجستير لهؤلاء الرجال والذي بدأه من نسبهم في ص ٢٢١ حيث يقول بعد استنتاجه وتصوراته التي غالباً ما تكون عارية من الحقيقة:-

« يبعد أن يكون لعقبة بن نافع أولاد آخرون استخلفهم على بعض المناطق كما ذكر - يعني الشيخ سيدي محمد (الخليفة) وإن كنا لاندعي لهم الإحاطة » .

ويعلق على هذا قائلاً :

« وقريب من رواية الشيخ سيدي المختار الكنتي في ادعائه الإنتساب إلى عقبة على ما رأينا : رواية تمسك بها الفلان تقول : إن عقبة تزوج بنت ملك (التوردب) وولد منها أربعة أولاد بعدما أسلموا على يديه ، ومن هؤلاء الأولاد جميع الفلان » .

نقول لطالب الماجستير : عليه أولاً ، قبل أن ينفي أو يثبت أو يشبه ، أن يتأكدكم لعقبة بن نافع من الأولاد ، وهل خرج أحد منهم إلى الأندلس غير حبيب بن أبي عبيدة ؟ ويعرف من بقي منهم في القيروان ، ومن خرج منهم إلى بلاد الكترور ، فإذا جمع هذه المعلومات وأتقنها حكم بها ، وتجنب هذه الإحتمالات والإستنتاجات التي لاتفيده إلا إثماً وسقوطاً من أعين الناس. ثم إني أسأله لماذا لم يذكر العاقب الذي ينتسب الشيخ سيدي المختار عن طريقه إلى عقبة بن نافع ؟ والذي أثبت بعض المؤرخين أنه خلفه والده عقبة في بيرو - التي هي الآن ولاته - والياً عليها ، وأنه أول من شيد فيها مسجداً ، ولم يزل فيها حتى مات ودفن داخل جزء من ذلك المسجد ، ولم يزل قبره معروفاً يزار حتى (١٢٣٥هـ) .

وقد استدل (پول مارتي) بهذه الرواية على وجود العاقب في ولاته ، فكيف يستدل الكاتب بأقوال (پول مارتي) في طنعه ، ويترك أقواله إذا كانت لاتفيده في هذا الطعن ؟

إنه من العدل والإنصاف أن يذكر رواية العاقب هذا - وإن كان يشك في صحتها - ويعلق عليها كغيرها لكن لايمكن أن يذكرها لأنها من الأدلة التي تنفي تشبيهه هذا .

أما تشبيهه لانتساب الشيخ سيدي المختار إلى عقبة بن نافع بانتساب الفلان إليه ، فهذا صدوره قريب عندي من شخص ينتسب إلى العلم ويدعي لنفسه تحري الصدق والصواب ! وهو يعلم أن الفلان لم يَكن لهم أي دليل على ما ادّعوه ولاأي بينة على ماقالوه ، ولم يوافقهم على هذا أي مؤرخ لاقديماً ولاحديثاً ، بل هناك روايات تجعل الفلان حسب ادعائهم ورواياتهم أحفاد (الأوربي) ، كما أن ادعاءهم هذا نفاه الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد (الخليفة) في مقابلات أجراها مع علمائهم ، فعجزوا أن يأتوه بأي دليل يثبت ما ادعوه ، وقد كتب لهم في هذا المجال عدة كتابات نثرية وشعرية أثبت فيها استحالة هذا الإدعاء وبطلانه ،

وأما قوله (أسطورية) فهذا لايجعلها أسطورية لمن تتبع سلسلة هذا النسب ، فإن الفترة التي سماها الطالب أسطورية تبعاً لما سماها به پول مارتي قبله ، فإنه ينفي عنها هذه الصفة أن رجالها كلهم معروفون مشهورون بالعلم ونشره ، والصلاح ، والورع .

كما أن أضرحتهم معروفة حتى الآن تزار ، وفي المناطق التالية أسماؤها ، وهي :

القيروان ، عز ، أمزاب ، لمراير ، الزّاب ، مستغانم ، غرداية ، الظهر .

وقول پول مارتي : إنه لم يتأكد من وجود قبر أحد أجداد الشيخ سيدي المختار الكنتي أنه في مستغانم (يهس) ، وأنه لم يتأكد أيضاً من قبرابنه (عمرو) أنه في غرداية ، فهذا لايجعل القبرين غير موجودين في هاتين المنطقتين لأن عدم العلم بالشيء ليس دليلاً على عدم وجوده ، ولثبوت وجودهما من طرق أخرى غير طريق پول مارتي ، ولو قلنا تقديراً : إن ضريحي هذين الرجلين غير معروفين ، فلا يجعل ذلك هذه الفترة أسطورية ماداما معروفين ، ومعروف أيضاً أضرحة آبائهما وأجدادهما وأحفادهما .

ولسنا بصدد التاريخ لنبين منه ماجهله الطالب أو تجاهله بل نحن كما أسلفنا في المقدمة، الذي يهمنا هو التنبيه على هذا الطالب وما أتى به من تخليط وتلبيس .

وفي صفحة ٢٢٣ أتى طالب الماجستير - جزاه الله خيراً - بأمَيَّة جديد ، يريد أن يفتح به باباً جديداً ليدخل منه على هذا القبيلة ، أو يتركه مدخلاً لغيره من أهل الأهواء المتسلطين ، الذين ليس لهم وازع ديني ولاأخلاقي ، يكفهم عما لاطائل لهم من ورائه ، وقد سمعت هذه السنة ١٤١٣هـ بعضاً من الطلاب جردوا أقلامهم في رسائلهم وأطروحاتهم على هذه القبيلة طعناً في نسبها ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سيادة هذه القبيلة ومكانتها ، وإني أحيط هؤلاء علماً أن هذا لايزيدها إلا فخراً واعتزازاً بنفسها لعدة أسباب ، وهي كالتالي :

أولاً : أن هذه القبيلة لاتشك في نفسها ليستفزها أي ناعق حاسد أو متسلط ، وماهؤلاء بالنسبة لها إلا كعصفور نزل على كنهبلة ، ولما أراد أن يطير قال لها : شدي نفسك فإني أريد أن أطير ! فقالت له : نزلت ولم أشعر بنزولك ، وستطير دون أن أشعر بطيرانك أيضاً !!

ثانياً : لو اجتمع كل المتسلطين وملأوا الدنيا رسائل وأطروحات ليس بإمكانهم تغيير واقع أكل عليه الدهر وشرب .

ثالثاً : لولا أن أمجاد هذه القبيلة قد حرقوا أبصار هؤلاء ، ومكارمَها أوقرت أسماعهم لما تسلطوا عليها .

رابعاً : لو كانوا يجدون في غيرها سلماً يوصلهم إلى أغراضهم لكانوا تسلطوا عليه ، لكن اختطفتهم مكانتها في القبائل وَوَزْنُها فيهم .

خامساً : إن هذه القبيلة ، منذ عرفت القبائل الموريتانية على الكرة الأرضية ، وهي من أهم القبائل ، وقد جمع الله فيها عدة مزايا يعلمها المتسلط وغيره ، وهي القلم والسيف والمائدة والبذل .

وهذا لاينكره إلا من يريد شيئاً من وراء نكرانه له ، أو حاسد أعماه حسده عن الحقائق ، إذاً لايضيرها ماسيكتب حاسد أو متسلط يريدان من وراء ماكتبا لقمة عيش أو رغيف خبز يقتاتان به .

ولنعد إلى مقالات طالب الماجستير حيث قال :

« أما قول عبد الله بن سيد محمود في معرض التأليب على أعدائه من كنته ، أنهم بقايا أحلاف اليزيد بن معاوية ، فلا يؤخذ منه أنهم من بني أميّة . ثم إن أمية ليس من متحد الأنساب ، بل يوجد أمية بن (وان مالي) المرابطي » .

أقول له : إن اسم (وان مالي) هذا وحده يكفي لنفي مايريد الوصول إليه استنتاجاً واحتمالاً منه ، لغرض دمج أمية هذا في نسب هذه القبيلة ثم يستطرد قائلاً :

« وأمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمية بن الظرب بن الحارث بن فهر : الذي تقدم أنه من أجداد عقبة الذي تنتسب إليه كنته » .

ثم يقول معقباً على ماتقدم لغرضه السالف الذكر : « هذا ، مع احتمال أن يكون من نسبهم إلى بني أمية يريد أنهم كانوا من ذرية أمية الذي هو من أمرائهم في إفريقية » ثم أردف

قائلاً دعماً لاحتمالاته : « وقد صاهر سيدي علي بن سيدي يحى أحد أجداد الشيخ سيدي المختار رئيس أبدوكل محمد آلم بن كنته بن زم المرابطي » .

قلت : لاهذه المصاهرة ولاماقبلها يفيده في إثبات أمية هذا في نسب هذه القبيلة ، لأن كل المؤرخين الذين نسبوا هذه القبيلة إلى بني أمية ، نسبوها عن طريق عقبة بن عامر ، والذين نسبوها إلى بني فهر ، نسبوها عن طريق عقبة بن نافع ، وهذه قضية لايجهلهاالطالب لوجودها في المراجع التي اعتمد عليها في كتابته ، وفي هذه الحالة عليه أن يجد عقبة جديداً أيضاً من أحفاد أمية الجديد ، كي يوفر له تشابهاً ، أو التباساً يمكنه الإعتماد عليه في احتمالاته المقبلة .

وأما قوله : إن أمية بن (وان مالي) كان أحد أمرائهم في إفريقية ، فهي زور وتلفيق ، لأن هذه القبيلة منذ عرفت لم يتأمر عليها أحد لاأمية ولاغيره ، بل كانت هي إمارات وقد انضوى تحت هذه الإمارات الكثير من الأتباع والأصحاب والمريدين . فتاريخها ونشأتها - أي القبيلة - معروفان .

فجدها الذي تحمل اسمه : سيدي محمد الكنتي نَزِيل (فَصك) ، ولد في (اللمتونة) لأنهم أخواله وتربى فيهم حتى بلغ مَبلغ الرجال ، صارت بينه وبينهم خلافات فخرج عنهم مغاضباً لهم حتى وصل جبل حسان ، فالتقى بأولاد النّاصر ، فدعاهم إلى قتال أخواله الذين خرج عنهم، فقالوا له : لاطاقة لنا بمناهدتهم لكثرة عددهم وعدتهم ، ونحن لاعدد لنا ولاعدة ، فقال لهم : قد دعوت الله فيهم ، فأجابني بكسر شوكتهم وذهاب دولتهم ، فما عليكم إلا شن الغارة ففعلوا ، وقد أنجز الله لهم من النصر عليهم ما وعدهم به .

وقد خلف هذا الشيخ سيد أحمد البكاي نزيل (ولاته) وخلف الشيخ سيد أحمد البكاي أبناءه الثلاثة الذين تفرعت منهم كنته ، ولم يطمع أحد قط أن يتأمر عليهم ، بل هم القادة والأمراء .

وبهذا يتحتم على طالب الماجستير أن يبين متى وقعت هذه الإمارة ؟ وأين ؟ وإلا فهي

كسابقاتها ولاحقاتها من احتطابه الهش الذي لامرجع له ولامسند .

طفولة الشيخ رحمه الله ونقد واعتراض صاحب الماجستير :

في ص ٢٢٥ يقول طلب الماجستير :

« ومع ماذكر صاحب الطرائف من حسن عناية أهله به ، وإحساسهم بنبوغه ، وما عُرف عنه من الكشف والنطق بأنواع الحكم من صغره ، ومع ذلك كله ، فإنه ذكر عنه روايات تدل على أنه عاش طفولة صحراوية غير مستقرة ولامتميزة بشيء عن حياة أبناء عمومته ومجتمعه» وفي ص ٢٢٧ يقول : « رأينا نشأة الشيخ سيدي المختار الكنتي ، وأنه ليس فيها مايزيد على نشأة غيره من أبناء البادية ، وأنه بلغ الثالثة عشرة ولم يتقن المادة الأولى في منهج أهل تلك البلاد وهي القرآن الكريم » .

قلت : ولاأدري ماذا يريد طالب الماجستير من وراء هذه العبارات ، هل يريد أن يقال له: إنه كان في طفولته يحلق في الفضاء ، أو أنه تربى على عرش بلقيس ملكة سبأ ، أو أنه تربى في أحد القصور التي استوردنا منها اسم الماجستير ؟! فإن كان هذا مايريده وهذه مقاييسه لنيل العلم ، وماتوصل إليه الشيخ سيدي المختار ، مما أكرمه الله به من فضله وجوده وإحسانه فهو خاطئ في تقديره وقياساته ، لأن الله جل وعلا يعطي ما شاء لمن شاء ، وفي أي وقت شاء، وفي أي سن كانت ، وإنه ليس هناك أي دليل يستدل به على عطائه قبل عطائه ، بل هو المعطي المانع الضار النافع ، الذي لامانع لعطائه ، ولا راد لقضاذه ، ولو رجع طالب الماجستير إلى هذه الآيات الكريمة لأراح نفسه من عناء الكتابة وأراحنا من الرد عليه ، قال تعالى : ﴿ كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظوراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ثم إني أريد من طالب الماجستير أن يبين من أين أتى بهذه المعلومة ، وهي أن الشيخ بلغ الثالثة عشر لم يحفظ القرآن الكريم ، ولو أن له منسداً في هذا لكان بينه ، لكنها من احتطابه الملفق وتزويره المنسق .

دراسة الشيخ وأخذه للعلوم

طالب الماجستير اعتراضه وتعليقه

وفي ص ٢٢٩ بعدما ذكر كيف درس الشيخ العلوم ، وما أولاه الله في ذلك من تيسيره ولطفه وتوفيقه قال :

« وقد يعترض على ماذكر الشيخ عن نفسه من معرفة الكتاب أو الفن بمجرد معرفة شطره أو ثلثيه ، ذلك لأن الكتاب الواحد يكون مختلف الموضوعات » .

نقول لطالب الماجستير :

إذا كان اعتراضه هذا على قدرة الشيخ وذكائه وحفظه وقوته على ذلك ، فإنا نؤكد له أن الشيخ ليس له حول ولاقوة تمكنه من معرفة اسمه هو نفسه ، فأحرى مافوق ذلك ، لولا فضل الله وجوده وكرمه ، وإن كان اعتراضه على مايخص به الله من يشاء من عباده ، فإنا نقول له في هذه الحالة : عليه أن يراجع هو عقيدته ، لأن هذا يعتبر اعتراضاً على الواهب ، وليس على الموهوب له ، لأن الموهوب له معلوم ضرورة أنه ليس له قدرة على جلب أي نفع ولادفع أي ضر ، فلم يبق لنا إلا أن نعلم أن هذا من الله ، وإذا علمنا أنه من الله ، علمنا أيضاً أن الله سواء عنده اختلاف الموضوعات وتجانسها وكثرتها وقلتها .

وفي نفس الصفحة ، بعدما ذكر ماتلقى الشيخ من الأذى والمتاعب والغربة في فترة طلبه للعلم وصبره على ذلك ، قال :

« ولاشك أنه من تحمل طُلاب العلم أولي العزم ولكنه غير خارج عن إرادة البشر ، بل توجد صور كثيرة من التحمل أقسى من مثل هذا الذي كان يتعرض إليه الشيخ سيد المختار الكنتي » .

نقول له : يا أخي - هداك الله - أنت لم تجد من قال : إن الشيخ سيدي المختار من جنس الملائكة ، ولامن جنس الشياطين ، ولاأن له قدرة خارجة عن قدرة البشر ، ولن تجده إذاً فعلاً من ردك هذا ، ثم إنك أثبت أنه توجد صورة كثيرة من التحمل ، أقسى من مثل هذا الذي كان

يتعرض له الشيخ سيدي المختار ، فلماذا تتعب نفسك فيما أنت في غنى عنه ؟ لكن من تتبع رسالتك هذه يجد أنك لايمكنك أن تترك حرفاً واحداً يوحي إلى مدح لهذا الشيخ ولو ضمنياً ، إلا تتبعته طعناً وقدحاً ، وإن لم تجد فمقارنة بما يمكن أن يكون عندك أحسن منه ، ولو كنت غير قادر على أن تأتي بدليل أو مثال على ذلك - نسأل الله السلامة والعافية !

وفي ص ٢٣٠ قال طالب الماجستير :

« ويصف الشيخ سيدي المختار الكنتي مجاهداته ورياضاته ومالاقاه من معاناة من النفس والهوى والشيطان وهو في وصفه هذا إنما يكرر ما سبقته به الصوفية » .

قلت : نريد من القارئ ألا تفوته هذه العبارات التي حشا منها رسالته وما تحمل في طياتها من تهكمات تارة ، وإزدراءات تارة أخرى ، ولكن نقول له : إن من انتهج منهجاً لم يسبقه له أحد لابد أن يوقعه فيما لاتحمد عقباه ، ومن ذلك سب علماء المسلمين الأموات ، ونبش قبورهم بعد مئات السنين ، فيكون بذلك قد خالف الله ورسوله ، لقوله ﷺ : « لاتسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا » .

وقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

وفي ص ٢٣١ : بدأ يسرد الكتب التي أخذها الشيخ سيدي المختار ، أي قرأها في رحلته لطلب العلم ، ولنذكرها كما أوردها هو ، وليس قصدنا هنا التعريف بها بل نرى ماذا سيعترض به طالب الماجستير في تعليقه على أخذ الشيخ لهذه العلوم :-

« أولاً : تفسير القرآن الكريم بالسند عن شيخه الشيخ سيدي علي ، بالسند عن شيخه إلى مؤلفيها :-

١ - تفسير الجلالين .

٢ - تفسير البغوي .

٣ - لُباب التأويل لابن الخازن .

٤ - تفسير ابن عطية .

٥ - تفسير النسفي .

٦ - تفسير البيضاوي .

ثانياً : الحديث وعلومه بالسند عن شيخه :-

١ - الصحاح الستة .

٢ - جامع الأصول لابن الأثير .

٣ - جامعا السيوطي الصغير والكبير .

٤ - الشفاء للقاضي عياض .

٥ - كشف الغمة عن جميع الأمة للشعراني .

٦ - الترغيب والترهيب للمنذري .

ثالثاً : علوم الفقه

١ - مختصر خليل .

٢ - العاصمية التي هي منظومة ابن العاصم .

٣ - جامع الأصول لابن الحاجب .

٤ - كتاب ابن عرفة .

٥ - رسالة ابن أبي زيد القيرواني .

مختصر خليل والعاصمية أخذها عن الشيخ محمد أحمد البلتماتيجي بالسند إلى مؤلفيها ، كتاب ابن عرفة ورسالة ابن أبي زيد عن الشيخ سيدي علي بن النجيب بالسند إلى مؤلفيهما .

رابعاً : علم الأصول بالسند عن الشيخ أند عبد الله الولاتي :

١ - ورقات إمام الحرمين أبي المعالي الجويني .

٢ - جمع الجوامع لابن السبكي .

٣ - تنقيح الأصول .

كما أخذ أيضاً عنه في النحو أربع :

٤ - كافية ابن الحاجب .

٥ - وفي القواعد الفقهية : قواعد المنجور أو شرح المنجوري في القواعد .

في النحو :

١ - مقدمة ابن آجروم .

٢ - الخلاصة لابن مالك .

٣ - الفريدة للسيوطي .

علم المعاني :

١ - ألفية السيوطي عقود الجمان .

٢ - التلخيص الذي هو أصل ألفية السيوطي .

يقول صاحب الماجستير في ص ٢٣٤ مستنكراً ثم مستبعداً لهذا :

« قلت : وبالمقياس البشري العادي ، فإنه يصعب أو يكاد يكون مستحيلاً مهما أوتي الإنسان من ذكاء وفراغ ، تحصيل هذه الفنون بإتقان ، في مدة تنحصر في خمس سنوات ، وهي مدة غياب الشيخ سيدي المختار الكنتي عن أهله ، في رحلته في طلب العلم » .

قلت : إني أطلب من طالب الماجستير أن يبين لنا : من أين استاق هذا الخبر ؟ وهو أن غياب الشيخ في طلب العلم ينحصر في خمس سنوات ، لأن هذا الخبر ليس صحيحاً البتة . فالشيخ - رحمه الله - مكث في صحبة الشيخ سيدي علي بن النجيب مدة تزيد على ست سنوات ، لأنه ذكر هو نفسه أن سنواته الأربع الأولى عند الشيخ سيدي علي قضاها في حالة من عدم الإستقرار النفسي والوساوس الشيطانية ، وعند انتهاء تلك السنوات الأربع استقرت روحه، واطمأنت نفسه ، وصفا قلبه ، وتمكن من نيل مايصبو إليه من العلوم في جميع سنواته الأواخر ، وصحب الشيخ محمد أحمد (البلتماتيجي) فترة لم يحددها من كتب عنه لكنه قرأ في هذه الفترة على هذا الشيخ : مختصر خليل ، والعاصمية ، كما أنه صحب الشيخ (آحّد)

السوقي فترة لم تحدد أيضاً أو لم نعثر عليها إن كانت محددة .

ومكث في تينبكتو أيضاً مدة لانعلم كم هي ، يطالع في مكتبة (الكوينهين) التي سلمه مفاتيحها عندما عثر عليه في هذه المدينة .

والذي أدركناه تتناقله الروايات الشفهية أن الشيخ رجع من رحلته التعليمية وعمره يزيد على العشرين ، بعد سفره المعلوم تاريخياً وهو في الثالثة عشرة من عمره ، وعلى هذا فإن غيابه يناهز عشر سنوات ، وعلى طالب الماجستير أن يثبت خمسته التي حصر فيها غياب الشيخ ، وإلا فهي تلفيقه أيضاً مع أني لاشك لدي في تلفيقها ، لكن للغائب حجته .

ثم قلتُ : ومما سيأتي تظهر للقارئ حقيقة طالب الماجستير هذا ، في تناقضه وازدواجيته، فهاهو في ص ٢٠٥ يقول :

« وللشيخ محمد فاضل مصدرون بارزون غير أبنائه وأهل قرابته ... إلى أن قال : ومن هؤلاء الشيخ سيدي عبد الله بن سيد أحمد الملقب بـ مايابى الجكني ، أدخله الشيخ محمد فاضل الخُلوة مرتين وأعطاه علوماً يحفظها أثناء خلوته » .

وفي ص ٢٠٦ ، يقول :

« هناك شيوخ آخرون مصدرون من الشيخ محمد فاضل منهم : محمد نعمه بن الإمام بن حكي ، صحب الشيخ محمد فاضل مدة أربع سنين ، فصدره بالمشيخة وأمره أن يتزيا بزي المشايخ ، وسيدي عبد الله بن أبي بكر البشير الذي جاء إلى الشيخ على نية التجرد لخدمته ، فصدره في ثلاث ليال » .

فلا أرى طالب الماجستير اعترض على هذه الخلوة ولاعلى العلوم التي أعطيت أثناءها ، وحتى لم يتساءل عن كيفية هذه العلوم !! ولو أن هذه الخلوة وما أعطي فيها ذُكرت عن الشيخ سيدي المختار سواء أكان هو الداخل لها أو المُدخل فيها ، لطعَنَ ونَقَدَ واستحال واعترض ، لأنه حتى تعب الشيخ في طلب العلم قبل بلوغه ، وزمن طفولته ، نقدهما وطعن فيهما ، كما أني لم أره اعترض على تصدير الإمام ابن حكّي ، وأمر شيخه له بالمشيخة ، والتزيي بزيها ، بل

أثبت هذا واستحسنه !! كما آراه لم يعترض على تصدير سيدي عبد الله في مدة ثلاث ليال ، فلم نر طالب الماجستير اعترض على تصدير في مدة خمس سنوات ؟! ولم نره اعترض على تصدير في ثلاث ليال ؟! كيف إذن نراه يعترض على صدور الشيخ في مدة خمس سنوات - كما زعم - هو - مع علمه بما وهبه الله للشيخ سيدي المختار من ذكاء وجهد وجد وكد ، وتجريد لنفسه في تحصيل العلم ، فإن قال : إن اعتراضه على الشيخ هو من ناحية كثرة الكتب التي قرأها في هذه الفترة ، فإنا نقول له : إنه لايبلغ عالم مرتبة التصدير وتحكيم أحكام الله إلا بعد ما يحتوي على ما احتوى عليه الشيخ سيدي المختار من الكتب أو أكثر .

وإن كان اعتراضه بسبب عجزه علمياً أو عقلياً عن إدراك قدر مواهب الله لمن يشاء من عباده ، فكيف إذن يقبل ويسلم في حصول هذه المرتبة الجليلة لهذا في مدة ثلاث ليال ،وينكرها ويعترض عليها للآخر في مدة خمس سنوات !!

ص ٢٢٦ الشيخ محمد فاضل ونشأته العلمية

أوردنا هذه النشأة هنا ليتبين ويتأكد القارئ من تناقض وازدواجية طالب الماجستير نحو هذين الشيخين ، ومايحمله لأحدهما من نوايا غير سليمة ، وهو الشيخ سيدي المختار ، قال طالب الماجستير :

« يقول صاحب الضياء المستبين : إن الشيخ محمد فاضل دخل الكتاتيب عندما بلغ العام الخامس من عمره ، وهذا ماعليه النظام التعليمي في تلك البلاد ، ولكن يمكن أن يؤخذ من كلام صاحب الضياء على مافيه من مبالغات أنه كان على جانب كبير من الذكاء وسرعة الحفظ ، فيقول بأنه حفظ القرآن في أقل مدة حيث كان يكتب حزباً أول النهار وحزباً آخره مع الإتقان والضبط ، وإذا وافق باحث على قبول مثل هذا ، فإنه يكون من الذين يسلمون بالمبالغات والنوادر ! إذ أنه على أساس هذه الرواية يكون حفظ القرآن بإتقان في شهر واحد ، وهذا لغرابته لابد أن يكون نقل بالتواتر ، وشاع شيوع النوادر والنوابغ ، وحفظ في هذه المدة مابين الخامسة والسابعة ، الكتب الصغار وقصص الأنبياء ، وسير الصالحين ولما بلغ سبع سنين تتلمذ على أبيه

على أن يوصله إلى الله ، ويبلغ على يديه مبلغ الأولياء الكمل ، فعلمه والده الإسم الأعظم ، والأسرار والحكم واشتغل بالذكر بـ (لاإله إلا الله) ملتزماً بيعة والده حيث عممه وصدره » .

قال صاحب الماجستير :

« يؤخذ من هذا أنه مكث في سلوك الطريقة ثمانية أعوام .. إلى أن قال : ومع مايأتي من تنقلاته في طلب العلم ، فإن صاحب الضياء نقل عنه قوله : والله ما أخذت شيئاً إلا عن الله تعالى بلا واسطة غير أن أبي علمني كتاب الله تعالى ومايعلم من علوم الأسرار » .

فقال طالب الماجستير :

« إن الشيخ محمد فاضل في هذه المرحلة أصبح شيخاً صوفياً ، يرافقه تلاميذه ومريدوه والكرامات والخوارق تحل حيثما حل ، والشيوخ الذين يدرسونه ينتهي بهم الأمر إلى أن يصبحوا تلاميذاً عنده » .

ثم قال في شأن أخذه للفقه :

« أخذ رسالة ابن أبي زيد القيرواني على ابن عمته الطالب بن الحسين الذي أصبح عنده مريداً رغم كبر سنه ووفور علمه ، وعزم على الرحيل إلى سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الذي صده عنه شخصان جاءاه في المنام ، فأخبراه بقرب أجله ، واقترحا عليه الذهاب إلى سيدي المصطفى بن عثمان ، فاتجه إليه وأخذ يكتب مختصر خليل ستين قفاً في اليوم ، ويحفظها عن ظهر قلب ، ويشترك مع أبناء الزوايا من طلاب ذلك الشيخ في الفنون التي يدرسونها ، وهكذا أتم المختصر في شهر واحد فكان تعليقه ، وهذه مالبغة أخرى نذكرها لصاحب هذا الكتاب ، الذي نعتمده في ترجمة هذا الشيخ لعدم وجود غيره عنه ، وهو في ترجمته له ، يري أن تكون أموره كلها خوارق وكرامات غير عادية ، ومع ذلك يجب على الناس قبولها والتصديق بها » .

قلت : ولنقتصر هنا على ثلاث نقاط ، وكيف أثبتها طالب الماجستير ، وحث الناس على القبول ، والتصديق بها ، وأنكرها ، واستبعد ماهو دونها في حق الشيخ سيدي المختار .

أولاً : حفظه للقرآن بإتقان ودقة في شهر واحد حيث يكتب حزباً أول النهار وحزباً آخره .

ثانياً : في ص ٢٦٧ قال :-

« ومع مايأتي من تنقلاته في طلب العلم ، فإن صاحب الضياء ينقل عنه قوله : والله ما أخذتُ شيئاً إلا عن الله بلا واسطة ، غير أن أبي علمني كتاب الله تعالى ومايعلم من علوم الأسرار » ثم أردف طالب الماجستير قائلاً : إن الشيخ محمد فاضل في هذه المرحلة أصبح شيخاً صوفياً ، يرافقه تلاميذه ، ومريدوه ، والكرامات ، والخوارق تحل حيثما حل » .

فهذه شهادة من طالب الماجستير تثبت الأخذ عن الله بلا واسطة ، لأن تعليقه عليها : « أن الكرامات والخوارق تحل معه حيثما حل » وإني لم أعهده مع الشيخ سيدي المختار إلا من أشد وإسوإ المنكرين حتى أنه لوح نحوه بالكفر والإنحراف غير ما مرة بسبب كرامات لم تبلغ حد الأخذ عن الله بلا واسطة ، ويفهم من هذا أن طالب الماجستير جعل التكفير والإنحراف مادة في جيبه ، يكفر هذا ويحرفه بالشيء الذي يجعله للآخر خوارق وكرامات .

ثالثاً : في ص ٢٦٩ « أخذه لمختصر خليل ستين قفاً في اليوم ، وحفظها عن ظهر قلب ، وإتمامه للمختصر في شهر واحد فكان تعليقه أيضاً ، وهذه مبالغة نذكرها لصاحب الكتاب الذي يريد أن تكون أموره كلها خوارق وكرامات ، ومع ذلك يجب على الناس قبولها والتصديق بها ».

فلم يعترض طالب الماجستير على أخذ المختصر ستين قفاً في اليوم ، وحفظه لها وإتمامه المختصر في شهر واحد ، بينما يعترض على الشيخ سيدي المختار في حفظه لسبعة ألواح في اليوم ، والستون قفاً هذه لاتقل عن خمسة عشر لوحاً لكل لوح أربعة أقفاف .

وفي ص ٢٦٩ بعد قوله :

« إن صاحب الضياء يريد أن تكون أمور الشيخ كلها خوارق وكرامات غير عادية »

فالذي علق به على هذا قوله :-

« ومع ذلك يجب على الناس قبولها والتصديق بها » هذا مع أنه اعتمد في كتابته عن الشيخ محمد فاضل في علمه وتصديره وكراماته وخوارقه على كتاب واحد فسلم بكل ماجاء

فيه وصدقه ، وحث على التصديق به ، بينما الشيخ سيدي المختار وجد عنه عشرات المؤلفات ، وعشرات العلماء يشهدون له بما حاول هو نفيه ونكرانه متحدياً بذلك شهادات العلماء ، ومؤلفاتهم ، ومتحدياً أيضاً فيه حق علمه وحفظه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وحق أخوته في الإسلام ، وحق كونه ميتاً منذ ١٨٧ سنة ، وذلك لغرض في نفسه بعيداً عن الدين والإسلام.

قُلتُ : وقد رأينا طالب الماجستير اعتمد على كتاب واحد عن الشيخ محمد فاضل ، وصدق كل ماجاء فيه ، بل حث على القبول والتصديق به ، ولنذكر هنا بعض ما اعتمد عليه في كتابته عن الشيخ سيدي المختار لينكشف القناع عن وجهه ودسائسه ، التي توصل بها إلى ماوصل إليه ، حيث قام وقعد ، ونفى وبدد ، وأنكر واستبعد كل ماجاء في هذه الكتب التي اعتمد عليها في كتابته عنه ، وضرب عرض الحائط بشهادات العلماء الذين أورد هو شهاداتهم بقوله في ص ٢٣٦ :-

« لقد حظي الشيخ سيدي المختار الكنتي بين علماء بلاده بتراجم متعددة ، كلها تحاول إبراز مكانته وقوة أثره :

١ - فقد ترجم له صاحب (فتح الشكور) من جهة كونه عالماً فقيهاً .

٢ - وترجم له صاحب (الوسيط) من جهة كونه شاعراً وأديباً .

٣ - وترجم له صاحب (شجرة النور الزكية) من جهة كونه أحد أعلام المالكية .

٤ - وترجم له پول مارتي ترجمة عامة معتمداً في ترجمته له على المصادر المكتوبة والأحاديث الشفوية .

٥ - ويظل أكبر مترجم له ، ولده وخليفته : الشيخ سيدي محمد ، حيث خصص لترجمته وكل مايتصل به كتاباً ضخماً سماه الطرائف والتلائد .

٦ - وخصص له أحد أتباعه وهو محمد الأمين بن عبد الله الجعفري الحجاجي الصحراوي المتوفى سنة ١٢٩٦هـ كتاباً سماه (المنهج المختار والكوثر المدرار في مناقب الشيخ سيدي

المختار وأشياخه الأخيار الأبرار) » .

قال صاحب الماجستير :

« وإذا تركنا مافي هذه التراجم من الإطراء والإطناب فإنا نجدها في غير ذلك مجتمعة على وسمه بسمات العلماء الأجلاء والمجددين النبلاء » .

٧ - فالشيخ محمد بن محمد بن مخلوف يصفه قائلاً : « كان من أعلام العلماء والأئمة الفضلاء ، والأساتذة المشهورين ، والجهابذة المعروفين » .

ويقول صاحب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكرو « بأنه شيخ الأشياخ السادات ، ساقي المريد ، وعمدة أهل التوحيد ، كان رحمه الله تعالى ولياً عابداً زاهداً يأتوه المريدون من كل فج ومكان » .

ويقول صاحب الوسيط :

« كان الشيخ المذكور من أفراد عصره علماً وصلاحاً ، ولم نر أحداً يطعن في ولايته ، ومن نظر في كتبه يتبين له فضله سواء كانت في الحقائق أو غيرها » .

ويقول (پول مارتي) معتمداً في ترجمته له على ماكتبه ابنه عنه ، ويتلخص منه ، ومن الروايات الشفهية التي جمعها عن حياته :

« إنه كان قبل كل شيء مصلحاً ، وفاتحاً إسلامياً حقيقياً ، اجتذب علمه إلى خيمته زوايا (البيظان) الذي انتشر منهم دعاته في كل الأقطار السوداء في افريقية الغربية ، وبالتالي تدين لهم الصحراء الكبرى وبلاد السودان في الوقت الحالي باعتناقها الإسلام مؤخراً» إلى أن قال : « وأنه في الوقت ذاته ، هو السيد الذي وطد وأنار للمشايخ طريق إيمانهم ، والزعيم الديني الذي أدخل في الإسلام الأقوام الوثنية » .

فقال طالب الماجستير :-

« قد لايجد الباحث غضاضة في التسليم لما وصف به هذا الشيخ من المكانة العلمية الاجتماعية ، إلا أنه لابد من القول بأن أمثاله كثيرون في تلك المنطقة ممن عاصروه أو جاؤوا

بعده بقليل ، ولو أنهم لم يكتب تاريخ يبرز حياتهم ويسلط الضوء على آثارهم » قلت وياليته سلط جميع أضوائه على هؤلاء ، وأبرز مكانتهم ، ويكون بذلك حصل على شهادته ، وسلم من آثام تسلطه على علماء المسلمين ، والنقص من حقهم .

أما قوله : « فإنا نجدها في غير ذلك مجتمعة على وسمه بسمات العلماء الأجلاء والمجددين النبلاء » فهذه عبارات سقطت منه بدون شعور ، فلو كان على شعور تام وفي قواة العقلية ، ما جاء في الصفحة التي تليها ليناقض نفسه بمناقشته تجديده ، ونفيه التجديد عنه ، ومناقشته عقيدته ، ونفي صحتها عنه أيضاً ، وذلك مما سنأتي به في مكانه إن شاء الله ، وكذلك قوله : « وقد لايجد الباحث غضاضة في التسليم لما وصف به هذا الشيخ من المكانة العلمية والإجتماعية ، إلا أنه لابد من القول بأن أمثاله كثيرون في تلك المنطقة ممن عاصروه أو جاؤوا بعد بقليل » .

نقول لطالب الماجستير : إن عدم الغضاضة هذا غير صحيح لأننا رأيناه من خلال كتابته هذه كله غضاضة ، وعدم تسليم في كل ماذكر عن هذا الشيخ . وأما مايكتبه مستدلاً به من كتابات غيره مما هو مدح أو حقيقة فيه ، فهذا تفرضه عليه طبيعة رسالته ، ثم يرد عليه مباشرة نقداً ونفياً وطعناً ، وهذا لاغرابة فيه عندنا ، بعدما تبين لنا أن هذه بضاعة يجمعها من عرض هذا الشيخ لثمن درجته الماجستيرية ، وأكبر دليل على ذلك أن هذه الرسالة التي تتكون من ٨٦٧ صفحة ، لن يجد القارئ فيها صفحة واحدة يذكر فيها هذا الشيخ بخير مما يراه هو خيراً فيه ، مع أنه هو أساس كتابته ومحل تركيزه في هذه الرسالة ، وأما قوله « إنه لابد من القول بأن أمثاله كثيرون في تلك المنطقة » فهذا أيضاً غير صحيح إذا كان يعني بكلمة (تلك المنطقة) المنطقة التي ظهر فيها الشيخ سيدي المختار وهي المعروفة (بأزواد) والتي تبعد عن موريتانيا مسيرة شهر ، وعن المغرب مسيرة شهرين ، وعن أدنى منطقة من الجزائر وهي (توات) مسيرة أربعين يوماً وعلى هذا فإن منطقته ليس فيها ولاعالم واحد يماثله والدليل على ذلك رحلته من المبروك حتى وصل نهر النيجر ، وتينبكتو يبحث عمن يتعلم عليه .

والذي نعلمه أن هناك شخصية واحدة في ذلك التاريخ وليست على المستوى المطلوب (حمادة كل انتصر) جنوب غرب تينبكتو ، والذي لم يكد يظهر الشيخ سيدي المختار ، حتى ناصبه العداء ، وصار يذيع في الناس أن هذا الشاب الكنتي ليس له علم ولامعرفة ، قصده بذلك صد الناس عنه .

وبعد فترة طويلة سافر الشيخ يقصده حتى قابله وتناظرا ، فعجز العالم (حمادة) عن مناظرته أمام من كان يذيع فيهم ويشيع فطلب من الشيخ السماح فسامحه وأعطاه هدايا من جملتها جملين ، ولما رحل الشيخ راجعاً صار ينادي في الناس : إن الكنتي عالم ولكنه من أصل حدادي أو من أهل المزامير ، وهاتان الطبقتان في غرب افريقية تنفر الناس الإنتساب إليهما من أي طريقة كانت ، وهذا مايريد حمادة لينفر الناس من الشيخ ، حتى أرسل له الشيخ قصيدة رائية طويلة ، لم يتكلم حمادة بعدها وهي له خاصة ، ولمن قام بما قام به عامة ، وهذا مطلعها :

يا أيها المتحلي غير شيمته	أقصر فليس وجود العين كالأثر
هذي ميادين كع دون غلوتها	حمارك الأعور المهزول ذو الدبر
تزبَّب الحِصرمُ الملقى بغابته	وليس يشبه طعم التمر والسكر
وإن تنسر عصفور يكذبه	بين البرية نقص القَدْر والقَدَر
ماكان لله دام الدهر متصلاً	وما لغير الإله مُجُّ بالضجر
أينقص الشمس قدراً وهي ضاحية	نباح كلب على العلات محتقر
قد ينبح الأسد وهو لايماثلها	وينكر الأعمى ضوء الشمس من ضرر
وينكر الجعل المسك الثمين فلا	يحظى بنفحته كالجن والبشر
كل على قدره حكم يقسمه	رب البرية ليس المسك كالبعر
فحظ كل لئيم شتم سيده	فقس فليس درار الشهب كالمدر

فـلا يجـوءِ بخـيل في تصـرفـه ولايسـود حسـود آخـر العـمـر

ينازع الله في فـضل يصـرفـه بين الكرام فـيجـزى منه بالغـبـر

لايحـسـد الناس إلا كل ذي بجـر منافق فـاسق قـد جـاء في الخـبـر

والنصح من شيم الأخيـار فـاصغ لما أبدية منتـخـبـاً من نخـبـة الزبر

لايجـتنى التـمـر إلا من شـمـارخـه ويقـذف الشـهـد إلا النحل بالوكـر

طيب الفـروع ينال من مـعـادنهـا وخـبـثـهـا تقـتنيـه من طخـا المدر

فـقـد نمتنا الكرام من أرومـتـهـا من جـذم عـبـد مناف من ذرا الغـرر

الخـيم يمنعـهم من كل باقـعـة والمجـد يحـرزهم من كل ذي خـور

هم الأئمـة قـدمـاً غـيـر ذي كـذب المنقـذون الورى من ربقـة الكدر

القـائمـون بأمـر الله لاشطط يلفى لديهم ولاطيش على خطر

الحلم شيـمـتـهم والعـدل سيـرتهم والرفق حرفـتـهم فـجـد واخـتـبـر

أعـفـة يعلم الرحـمن عـفـتـهم والجار يحـمـونه بالبـيض والسـمـر

ونكتفي بهذا القدر من القصيدة .

وفي ص ٢٣٨ ، قال طالب الماجستير :

« إنه لابد من مناقشة القول بأن هذا الشيخ هو مجدد القرن الثاني عشر ، كما وصفه به ابنه والتعرض كذلك لبيان عقيدته ليتضح مدى صحة منهجه من خطئه » ثم قال : « وينطلق محمد الكنتي في وسمه لوالده بهذه المكانة العالية من الأمور التاليه :

سعة باعه في جميع الفنون ، واعتماده في ذلك على الكتاب والسنة لغلبتهما عليه ، حيث إنه كان يفسر القرآن إلى آخره عن ظهر قلب - كما يقول هو - وأنه كان مرجحاً للإتباع ، كارهاً للإبتداع ، والخروج عن سنن السلف الصالحين ، وما اجتمع عليه صدر العلماء العالمين ».

قلتُ : ولنقف هنا للرد على هذه الإنطلاقة ، وأما قوله : « ينطلق الشيخ سيدي محمد »

فإنا نقول له : وشتان مابين الإنطلاقتين ، فانطلاقة الشيخ سيدي محمد كانت من بيته إلى مسجده وتلاميذه وكان يكتب في هذه الإنطلاقة مناقب والديه ويذكر محاسنهما وكراماتهما ، وهذا دليل على طاعته وبروره ، والله تعالى يقول: ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ . وأما انطلاقتك ، فكانت من آسيا إلى غرب افريقية ، والقصد منها نبش قبور الأولياء ، والبحث عن مساوئهم لتنشرها ، ومالم تجد منها اختلقته ولفقته ونشرته !

ولنعد إلي مانحن بصدده وهو قول الطالب : « هل الشيخ هو مجدد القرن الثاني عشر؟ » فذكر بعضاً مما كتبه الشيخ سيدي محمد عن والده ، من ذلك قصيدة كان يحث فيها على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وينهى فيها عن الابتداع والأخذ بأقوال الرجال دون الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وكتاب اعتمد فيه على فقه الصحابة والسلف الصالح ، وقصيدة ذكر فيها أنه رأى النبي ﷺ في منامه ، وأمره بتجديد سنته ، وأنه كان يحيل المشتغلين من طلابه بالنحو والفقه إلى غيره من أهل ذلك الفن ، وأنه كان يتولى بنفسه المشتغلين بعلم التفسير والحديث .

قلتُ : وليس قصدي هنا إثبات التجديد أو نفيه ، لأني لست على كفاءة من العلم تمكنني من ذلك ، ولست أجمع أجمع ثمن درجة دنيوية يقحمني في مالا أعلم ، أو ينسيني ماعلمت ، بل قصدي إظهار تناقض هذا الطالب حيث قال في ص ٢٤١ :

« الواقع أنه لايكفي بالمقياس التجديدي ، أن يدعو عالم أو شيخ في قصيدة إلى العناية بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ أو العمل على تحرير المسائل العلمية ، أو يؤلف كتاباً يخالف في بعض مسائله مختصراً كان موجوداً قبله ، أو يذكر في مناماته : أن النبي ﷺ أمره بتجديد سنته » .

وكأن هذا الطالب لم يجد عن الشيخ سيدي المختار إلا هذه القصيدة أو هذه المنامات ، لكنه كعادته إذا أراد نقداً نسي أو تناسى كل ماأورده قبل نقده وأخذ ينقد كما يحلو له ، فلم يتذكر أنه أورد في ص ٢٣٦ شهادات العلماء والمؤلفين والمؤرخين الذين شهدوا بعلمه وزهده

وورعه وصلاحه ونشره الإسلام وهم :

١ - صاحب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكرور.

٢ - صاحب الوسيط الذي هو ثالث ثلاثة من علماء موريتانيا .

٣ - صاحب شجرة النور الزكية .

٤ - صاحب الطرائف والتلاد .

٥ - صاحب الكوثر المدرار .

٦ - الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف .

٧ - صاحب كنته الشرقيون الذي هو پول مارتي الكافر الذي لايمكن أن يمدح مسلماً ، بما ليس فيه ، فقد قال عنه : « إنه كان قبل كل شيء مصلحاً وفاتحاً إسلامياً حقيقياً ، وإنه تدين له الصحراء الكبرى وبلاد السودان باعتناقها الإسلام ، وأنه السيد الذي وطد وأنار للمشايخ طريق إيمانهم والزعيم الديني الذي أدخل في الإسلام الأقوام الوثنية » .

وياعجباً لمسلم أنزه منه وأعدل كافر في شهاداته على المسلمين ، ولهذا فإني أسأل هذا الطالب هل يتصور لما كتب هذا أن الناس سينبذون شهادات كل هؤلاء العلماء والمؤرخين والمؤلفين وراء ظهورهم ويتمسكون بكلامه هو وحده ، والرسول ﷺ يقول : « أمتي لاتجتمع على ضلالة » فكيف إذا كان الإجماع إجماع جماعة من علماء الأمة المحمدية ، ثم قال طالب الماجستير :-

ذلك أن التجديد أعم من هذه الأمور وأشمل ، حيث لابد أن يجتمع فيمن يوصف بالتجديد : العلم والعمل والدين وسياسة الدنيا ، من أخذ الناس بالشريعة وإقامة حدود الدين وفق المنهج الذي كان عليه الرسول ﷺ ، وتغييرّ مسير الحياة الفاسدة إلى حياة صالحة باللين في موضعه والشدة في مكانها ، كما كان عليه الخلفاء الراشدون ، ومن تبعهم على نهجهم في سياسة الدين وحمل الرعية ، وذلك بما يناسب » .

نقول لصاحب الماجستير : إن كانت هذه الصفات التي ذكرها هي علامات التجديد فكلها

مجموعة في هذا الشيخ ويتجلى بأعلى مقاماتها سوى واحدة سنبين عمله فيها قريباً إن شاء الله ، ولم نجد طيلة مائتين وسبع وستين سنة من يصفه بغير هذه الصفات ولم يطعن فيه أحد بعدمها طيلة الفترة المذكورة سوى هذا الطالب الذي نصب نفسه معارضاً للعلماء بنفي شهادتهم وتكذيبهم حتى صار بعلمه هذا نداً للأولياء والصالحين ، ثم قال : « وهذا مالم يدعه الشيخ سيدي محمد لوالده حيث يقرر أن غالب الأحكام السياسية يجري فيها المجرى اللائق بالحال لفقد شروط القيام بها على الوجه المقرر شرعاً من إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام بالوظائف السلطانية وأنه مع ما أفرغ عليه من القبول ونفوذ الكلمة وعظمة الهيبة عند الأمراء والمتغلبين والرؤساء والمتعصبين في سائر الأقطار كان يتوصل إلى تنفيذ ماتعين من ذلك بالمجاملة والمداراة والعطاء » .

قلتُ : إن الذي جعل طالب الماجستير يقول : « وهذا مالم يدعه الشيخ سيدي محمد لوالده » فإن لقوله هذا سببين :

- أولهما : أن هذا الطالب لم يبلغ من الكفاءة العلمية مايفهم به كلام الشيخ سيدي محمد ، وعليه أن يتابع دراسته حتى يبلغ من العلم مايفهم به كلامه وإذا بلغ ذلك المبلغ وحصل على تلك الكفاءة علم أن الوظائف السلطانية وهي التي استثنيناها في الجملة السابقة هي الشرط الأساسي في تنفيذ الأحكام والحدود الشرعية ، وإذا فقدت هذه ، فالبديل عنها هو ماكان يتوصل الشيخ إلى تنفيذها به من المجاملات والمداراة والعطاء .

- والسبب الثاني : جهله بالبلاد التي ظهر فيها الشيخ سيدي المختار جهلاً تاماً ، وعليه أولاً أن يرحل إلى تلك البلاد ويطلع عليها جغرافياً وسكانياً فإذا فعل واحتاط بها علماً ومعرفة من كل جوانبها ورأى فيها مايمكن اتخاذه مما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين ، قد قصر أو تقاصر عنه الشيخ سيدي المختار حكم به عليه وبين ذلك وكان في هذه الحالة يكتب عن دراية وبصيرة وسلم من تخبطه هذا في ظلامات جهله وهواه ، أما تجريده لقلمه عليه وهو يجهله ويجهل بلاده ويجهل سكانها حيث لايدري هل يمكن أن يوجد فيها من يصلح للوظائف

السلطانية أم لا ؟ فهذا زور يحسب عليه ، وتلفيق وجهل ، والله تعالى يقول : ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ ثم قال طالب الماجستير:-

« ومن كان على هذا الجانب الكبير من المكانة عند الناس وفي أرض سائبة يسودها الظلم والجور والفوضى ، فإن مجال تجديده هو العمل على جمع الناس على إمام عادل وحملهم على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتطبيق أحكام الله في جميع شؤونهم ، وهذا مالم يكن عليه الشيخ سيدي المختار الكنتي ، بل إنه دُعي إلى ذلك فامتنع ، مكتفياً بماهو عليه من السلامة والجاه العريض » .

قلتُ : أما قوله : « وهذا مالم يكن عليه الشيخ » فهو أيضاً زور وبهتان ، إلا أن الأرض سائبة كما قال ويسودها الظلم والجور والفوضى ، وكلها بربر والأغلبية الساحقة من سكانها إما كفرة أو وثنيون وهو شبه دخيل على هذه البلاد ، وأقرب منطقة يوجد فيها كيان عربي هي موريتانيا التي يفصل بينه وبينها مسيرة شهر ، وليس معه من يقدر على حمايته بل إن الذي يوجد معه من أقربائه في تلك البلاد ناصبوه العداء بسبب ظهوره المفاجئ وسلبه منهم القيادة الدينية والسياسية والقبائل العربية الموريتانية رغم بعدها فهي أيضاً في صراع مسلح مستمر لاتكاد تهدأ حرب في مكان إلا اشتعلت في مكان آخر ، والمنتصر لايكاد يرجع عن المهزوم حتى يشن غارة أخرى في مكان آخر ، والمهزوم لايتريث عن الغارة إلا ريثما يضمد جراحه إذاً ماذا يفعل عالم مجدد أو غير مجدد في هذه الأجواء المظلمة والمحيط المغمور بمخاطر الظلم والجور والجهل والفوضى واقرأ معي ما قام به الشيخ سيدي المختار رحمه الله فقد جرد نفسه وكل مالديه للتعامل مع هذا المحيط الذي يحيط به معتمداً على الله متوكلاً عليه مستمداً منه العون والقوة والنصر فقام يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فإذا استجاب له حيٌّ أو أكابر قبيلة بعث لهم الوعاظ والمعلمين يعلمونهم ويرشدونهم إلى صراط الله المستقيم ومن كان من اللصوص والمحاربين لايستجيب إلا للمادة بذلها له وساتدرجه بها حتى يدخله

الإسلام ولم يزل يروضه ويقربه حتى يكون من أحسن الناس إسلاماً ثم يتخذه عوناً وسنداً في نشر الإسلام وهناك نوع ثالث لاينقاد للدعوة بسهولة لأن أوامر الإسلام يراها نقصاً في رجولته وسيادته كالسجود في الأرض والوضوء خمس مرات في اليوم ، لأن هذا يعتبره أوامر تأتيه من غيره وهذا مالا يمكنه الإستجابة له وهذا النوع كان أيضاً يقربه بالهدايا الثمينة والجمال والجياد الحسان ويبشره وينذره ويدعو الله فيه حتى يأتيه طائعاً منقاداً للإسلام .

وقد تلقى في هذا المجال الكثير والكثير من المضايقات والإهانات ، لكن هذا لم يثنه ولم يضعف من عزيمته ومن ذلك ماتلقاه عند فكه حصار تيمبكتو حينما حاصرتها قبيلة (تدمكت) عندما قتل بتيت بن محمد المختار بن غمير بن علاد من قبيلة (تدمكت) على يد الرماة ، فقد طال أمد هذا الحصار حتى أكلت الناس الحمير والجيف ووقعت حالات من أكل لحوم البشر ، فتدخل ورفع هذا الحصار وأعاد الأمن والإستقرار إلى ربوع هذه المدينة لكن الشروط التي اشترطها على الطرفين أثارت له عداء من متطرفي الجانبين ، فقد دبر الرماة خطة لقتله وهو مازال في مخيمه على أبواب (تينمبكتو) ، فجاءته جماعة وأنذروه بالرحيل والهرب قبل أن يقتله الرماة فلم يكترث بماقالوا ولم يلتفت إلى قول هؤلاء النذر فأسلم أمره لله وتوكل عليه وقد نجاه الله من هذه المؤامرة ، فبعد يوم جاءه رئيس هذه العصابة وسلم عليه واعتذر له وقال له : إن الأمور قد انقلبت تماماً لأنا ماكنا لندبر خطة ونتراجع عنها مهما كانت خطورتها إلا أني أرى نفسي هذه المرة بقيت وحدي في هذه الخطة وليس حولي أحد .

أما من ناحية تدمكت فإن القتيل الذي هو سبب حصار تينمبكتو كان أميراً ولم يكن له ولد ليستلم منصبه فتنازع على هذا المنصب عم القتيل (خوميكا) ابن غمير وزعيم آخر هو الباشا بن (أتِنْيكَادْ) ، ولكن الشيخ رجح خوميكا ونصبه وبعدما رجع الشيخ قام الزعيم الجديد بخرق الإتفاق الذي أبرمه الشيخ لفك الحصار فاجتاح تينمبكتو على حين غرة فخرج الشيخ يقصده حتى التقى به وهو على رأس قواته فكلمه فرد عليه (خوميكا) بفظاظة ووقاحة فصفعه الشيخ صفعة أسقطته عن ظهر جواده قائلاً له : لقد أركبتك فوق سرج لم تكن أهلاً له ،

ثم قال للباشا الذي كان ينازعه على الإمارة : استلم طبل القيادة وكن أميراً على (تدمكت) ، ولم يكن يمضي على هذه الحوادث إلا القليل حتى وقف الباشا أيضاً أمام الشيخ مع عدد من قواته ورجاله وسلم عليه بقلة احترام وبطريقة غير مألوفة فقال له الشيخ : لقد حملتك عجرفة السلطة يا باشا نحو مناطق نائية للغاية ، وعليه سننزلك من جديد عن تلك الأعالي ، فرد عليه: أنت لم تمنحني سلطة كانت لأجدادك فهي لأجدادي وقد نلتها عن آبائي بطريق الإرث ولن تنزلني كلماتك من عليائي ، وانطلق الطارقيُ راجعاً ، فأرسال الشيخ على عجل إلى (أما بن أك الشيخ) يستدعيه ليرسله في إثر الباشا فهاجمه وكسره وهزمه وانتزع منه القيادة وأعطيت أيضاً إلى (خوميكا) ومن يومها استتب الأمن واستقرت الأحوال ، وسارت الأمور على أحسن ما يرام .

ومنها أيضاً قضيته مع الباشا بن أبي افريوه أمير أولاد بله لما أغار على شمال (تينمبكتو) ونهب كل ماعثر عليه من الأموال والأمتعة ، فلما سمع الشيخ سيدي المختار الخبر تبعه مسيرة شهر حتى لحقه في تيشيت ، فطلب منه الوجاهة فلم يقبل منه ، فاسترجعها منه بحد السيف - والباشا في ذلك التاريخ أقوى قوة في بلاد موريتانيا - ورد الشيخ تلك الأموال إلى أصحابها ولم تكن له فيها ناقة ولاجمل ، وأهلها ليسوا من قرابته ولامن جيرانه سوى مافيها من أموال الشيخ سيد علي فقد كان الشيخ رحمه الله يغيب عن أهله ووطنه السنة ونصف السنة يدعو إلى الله ويرشد ويعلم ويطفئ نيران الفتن المشتعلة ويصلح ذات البين ويرفع الظلم عن المظلومين إلى غير ذلك من أعمال البر والإحسان ، وهذا مالا يجهله طالب الماجستير لشيوعه ولوجوده في كل المراجع التي اعتمدها في كتابته ، ومن ذلك تدخله بين قبيلتي بني أحمد بن صالح الأروانيين وبني العيد العمريين الذين كانوا في نزاع مسلح مستمر زهقت فيه الأرواح ونهبت الأموال ، فانهى تدخله هذه الحروب بصفة دائمة وحل محلها السلام والوئام ومن ذلك أيضاً تدخله الذي كان له الأثر المشهود والمحمود لمنع دمار محقق بين القبيلتين الشديدتين المتحاربتين : قبيلة اليتامى المنحدرين من عمران بن عثمان بن مغفر ، وقبيلة أولاد علي بن

عبد الله ومن ذلك تدخله بين هكار الذين هم أقوى قبيلة من البربر وبين أبناء عمومته الذين يناصبونه العداء فكانت بينهم حرب مات فيها المئات من الناس من كلا الجانبين ودامت عدة سنين أنهاها تدخله إلا أن هذا التدخل زاد من عداوة أقربائه ، وقد قال في هذا المعنى :-

تناصرت الأعداء من كل جانب ... عليَّ فحسبي من له الخلق والأمر

تعاطوا مقال السوء فيَّ وألبّوا ... قبائلهم تلك السفاهة والغدر

فما منهم إلا حسود مكابد ... كذوب تعاطوا مايضيق به الصدر

أأصبر حتى يحكم الله بيننا ... وإن يعف عنهم كان موعدنا الحشر

وإن ينتقم ذاك السبيل وسنّة ... مضت مالها حصر ولادونها ستر

فدعوة مظلوم وإن كان كافراً ... تجاب فكيف المخبت الطاهر الحر

فما بيننا حرب تقادم عهدها ... ومابيننا إرثٌ ومابيننا ثأر

ومانقموا مني سوى أنني إلى ... مصالحهم أسعى فشأنهم النكر

أحاول عند القوم حقن دمائهم ... فيأبوا ومكر السوء بالقوم مخفر

ألا قيدوا نعماءكم بقيودها ... تدوم وتلك الحمد والتوب والشكر

فما فارقت قوماً فعادت إليهم ... بظلم وعصيان وأعظمه الكفر

إلى أن قال :-

فإني وإياكم كإخوة يوسف ... أرادوا به شراً فحاق بهم شرُّ

فتمت عليه نعمة الله بعدهم ... فسيقوا إليه بعدما ملكت مصر

أقروا له الفضل بعد ظهوره ... عليهم فأقضي أنه السيد الحر

كذلك صنع الله في كل ماجد ... تكون له العقبى وإن مسه الضر

ونكتفي بهذا القدر من هذه القصيدة .

وهنا نرى طالب الماجستير قد أتى من غرب افريقية إلى آسيا يتأبط وشاية أو نميمة

ليزرعها ، فتثمر شحناء أو حقداً في قلوب المسلمين هنا وذلك حيث قال في ص ٢٤٧ :

« وما وقع للشيخ سيدي المختار الكنتي رحمه الله مع من وصفوا في بلاده بالتجديد وقع له مع الدعوة السلفية في الجزيرة العربية ، حيث صدق روايات الحجاج وعوام أهل التعصب ، فنسب أهل الدعوة السلفية المجددة إلى أمور شنيعة قبل أن يقرأ عنها كتاباً أو يقف لها على حقيقة حيث قال لولده الشيخ سيدي محمد لما استأذنه في الحج إلى بيت الله الحرام إن الحج لايجب عليك لفقدان شروطه لكثرة الفتن » .

وإني أتساءل ما المقصود بهذه الجملة التي لاعلاقة لها بموضوع رسالة هذا الطالب لامن قريب ولامن بعيد وماذا يريد من ورائها سوى زرع الحقد والكراهية وإسقاط هذا العالم الجليل من عيون وقلوب من لم يعرفوا عنه شيئاً سوى ماقدمه هو لهم ، وعلى هذا فهي غيبة ونميمة في آن واحد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ماالغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته » أخرجه مسلم .

وقيل : إن النميمة هي نقل الكلام بين الناس على وجه الفساد ولايخفى مايترتب عليها من المفاسد التي هي سبب تحريمها ، قال الشاعر :

كم هدم النمام من قصر مشيد   بشفتيه لابفأس من حديد

وعلى الطالب محمد أن يراجع الكتاب والسنة ليرى من هو مع هذه الوشاية التي لاتفيد سوى الفساد والكراهية .

أما ما قاله الشيخ فلو كانت النوايا سليمة والمطالب نزيهة والمقاصد شريفة لايعدو سوى كونه نصيحة خص بها ولده فأخبره بما سمع من الحجاج وأمره بالتريث والإشتغال بتهذيب نفسه ريثما تنكشف له الحقيقة وهذا النوع من التأني والحيطة معروف عن العلماء قديماً وحديثاً ولو كان الشيخ جزم بهذا وأكده لكان ألف فيه أو أرسل به رسائل إلى أتباعه ومريديه المنتشرين في جميع أصقاع تلك البلاد ليرشد الناس ويعلموهم ، أو يذكر عنه من جهة أخرى كتلاميذه أو أصدقائه أو أبناء عمومته أو المقربين من أتباعه وهذا شيء لم يقع ولن يجد عليه الطالب دليلاً والذي تدعمه كل الأدلة النقلية والعقلية أن الواشي إذا وجد حرفاً واحداً يوافق هواه جعل منه مئات الحروف وعشرات القصص وزخرف ظاهره وسمم باطنه ليصل به إلى غرضه .

وفي ص ٤٤٤ قال طالب الماجستير :-

« لايخفى أن الغلو في الدين والإعتقاد الفاسد في المخلوقات أو ادعاء علم الغيب والعصمة للأولياء من الأمور المبعدة عن الولاية بمراحل ، كما قال الألوسي ولنستعرض الولاية والولي في مفهوم الصوفية من خلال كتب القادرية ، يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي :-

« الأولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل ، لأنه وليٌّ لله ورسوله فلم يخرج عن أمرهما ونهيما إلى مايغضبهما ، ويكون اسم مفعول لأن الله تعالى والاه بخوارق نعمه وبمزيد إمداده وكرمه ، وضابط الولي أنه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي ، المعرض عن الإنهماك في اللذات ... إلى أن قال : ومن علاماتهم رضي الله عنهم - التي هي شرط في تحقيق ولايتهم لزوم الأصول الثلاثة وهي :-

أ - أداء الفرائض عسيرها ويسيرها .

ب - اجتناب المحارم كبيرها وصغيرها .

جـ - ترك الدنيا على أهلها قليلها وكثيرها إلا مالابد للمؤمن منه » .

وقال في ص ٤٤٥ :-

« يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي : وحقيقة الكرامات ظهور أمر خارق للعادات غير

مقرون بدعوى النبوءة على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه فيما جاء به وإلا فهي استدراج أو سحر أو إذلال » وينقل عن الشيخ سيدي محمد قوله في ص ٤٤٦ :-

« وبالجملة فالولاية متابعة الرسول ﷺ إذ هي الطريق الموصلة إلى الحق » وينقل عن الشيخ سيدي المختار الكنتي قوله :-

« واعلم أن الكفر الصريح ماحكي عن بعض الكرامية أن الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوءة ، بل ربما زاد عليها مستدلين بما وقع لموسى عليه السلام مع الخضر رضي الله عنه إلا أن الولاية جزء من أجزاء النبوءة فهي داخلة في النبوءة إذ كل نبي ولي ولاينعكس - إلى أن قال - أعني الشيخ - : ولقد جازف بعض المتصوفة الجهلة فقال : إن رتبة الولاية أعلى من رتبة النبوة وأن الولي قد يبلغ حالة يسقط فيها عنه التكليف محتجين بقوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ فقد حرفوا كتاب الله وكذبوا على أوليائه جهلاً منهم وتحريفاً للكلم من بعد مواضعه وزيغاً عن الحق وإلحاداً في الدين ، فإن اليقين في هذه الآية إنما المراد به الموت ، فأمر نبيه ﷺ أن يعبده حتى يأتيه الموت وهو على ذلك ، بل لم يزل ﷺ في زيادة من عبادته واجتهاده حتى قُبض ﷺ » .

قلتُ : وقد بين الشيخ سيدي المختار الكنتي رحمه الله في أماكن أخرى الفرق بين مايظهر على يد الولي من كرامات ومايظهر على يد المشعوذ أو الساحر من خوارق كي لايغتر به الجهلة وعوام الناس ، فالولي هو الذي ائتمر بأوامر الله عسيرها ويسيرها وانتهى بنواهيه كبيرها وصغيرها وجعل منهجه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فهذا تظهر الكرامة على يديه تفضلاً من الله وكرماً منه دون أن يدري عنها كما أنها لاتكون لها مقدمات تشعره بوصولها لأنها من الله وليس للعبد دخل في حصولها ، بينما الساحر أو المشعوذ لايحصل على ما يحصل على يديه إلا بعد مكابدة أعمال خبيثة ومتعبة إما بأصوات أو نداءات أو بخورات أو ألفاظ ينكرها الإسلام ويكفر صاحبها وهذا فرق بيِّن وواضح » .

وعلى هذا نقول لطالب الماجستير بعدما ساق هذا الكلام العلمي الصحيح الموافق للكتاب

والسنة ولما كان عليه السلف الصالح والذي يدل على مكانة هذا الشيخ العلمية ، فمن غير اللائق به تجريحه لأي سبب كان ، وإن رأى منه هفوة أو زلة قلم فاللائق به أن يحملها على أحسن محمل أو يلتمس له أسهل مخرج ، فديننا الإسلامي ينهى عن سب العامة وتجريحها فكيف بالخاصة ؟!

« فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وفي ص ٤٤٧ قال طالب الماجستير :

« ثم يعتذر الشيخ سيدي المختار عن الشيخ عبد القادر الجيلاني في كلام منسوب إليه يفهم منه أن الأولياء أفضل من الأنبياء فيقول : « وليس من ذلك ماطالعته في مناقب الشيخ الجيلاني أنه لما مر مبقابر الأنبياء قال : معاشر الأنبياء لقد خضنا بحورا وقفتم بساحلها فليس في ذلك مايدل على تنقيصه إياهم ولا الغض من مناصبهم ولاإغماط قدرهم ، وما لايدل على أنه في ذلك مثلهم أو فوقهم لأنه قد يحصل للمفضول من العلوم مالم يُحط به الفاضل وليس ذلك قدحاً في منصب الفاضل ولابزائد في رتبة المفضول ، لأنه معلوم ضرورة أن الأولياء أتباع الأنبياء وعيالهم وتحت سوط ولايتهم وفي قبضة توليهم فكيف يظن بهم أن يثلج في أذهانهم أنهم يُخلون بأدب من آداب الأنبياء أو يعتقدون المساواة فضلاً عن الرجحان ، إلى أن قال :-

« بل ينبغي أن يكون معنى قوله : خضنا بحوراً وقفتم بساحلها ، أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد سبقوهم إلى خوضها فعبروها حتى وقفوا بساحلها قبل خوض الأولياء لها ».

وفي ٤٤٨ قال طالب الماجستير :

« تقدم في ترجمة الشيخ عبد القادر أن أصحابه وأتباعه كتبوا في مناقبه الكثيرة ونسبوا إليه مايعتذر عنه » إلى أن قال « فالأولى عندي الطعن في نسبة هذا الكلام لمن عرف بالفقه والإستقامة بدلاً من الإعتذار عنه خصوصاً أنه ورد في هذه الكلمة مايعرف به أنها موضوعة ».

نقول لطالب الماجستير :-

« إن الطعن الذي هو سبيله وديدنه في كتابته ويندب إليه ويستحسنه لغيره فإن له

شروطه وأحواله التي لايصح بدونها عند العلماء ، ويكفيه طعناً قول الشيخ : « وليس من ذلك ماطالعناه في مناقب الشيخ الجيلاني » قلتُ : فعدم اطلاع الشيخ عليه وعدم وقوف طالب الماجستير عليه أيضاً لايجعله غير موجود لأن عدم العلم بالشيء ليس دليلاً على عدم وجوده ومادام هذا لايجعله غير موجود ، فالطعن فيه في هذه الحالة يكون ظناً والظن لايغني من الحق شيئاً ولهذا كان الشيخ رحمه الله لعلمه وتمكنه إذا عثر على خطأ أو زلة قلم أو هفوة لسان ممن عرف بالعلم والإستقامة التمس له أحسن المخارج وأقربها إلى الخير والنجاة وهذا سبيل أهل الحق والتمكين خلفاً عن سلف ومن الحكمة ألا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً .

وفي ص ٤٤٩ ، قال طالب الماجستير في معرض نفيه للولاية :-

« ودليلنا أن العلم بأن الواحد منا ولي لله تعالى لايصح إلا بعد العلم بأنه يموت مؤمناً وإذا لم يعلم أنه يموت مؤمناً لم يمكنا أن نقطع أنه ولي لله تعالى ، لأن الولي لله تعالى من علم الله تعالى أنه لايوافى إلا بالإيمان ، ولما اتفقنا على أننا لايمكننا أن نقطع على أن ذلك الرجل يوافى بالإيمان ولا الرجل نفسه يقطع على أنه يوافي بالإيمان ومادام الحكم بالولاية المطلقة يتوقف على معرفة الخاتمة وهي غير معروفة للجميع ، فلا ينبغي الحكم فيها لمعيّن كما يفعل أهل الصوفية » .

قلتُ : إن طالب الماجستير بكلامه هذا يجعل المطالع لرسالته من الجهال والمقلدين في حيرةٍ من أمرهم بدلاً من أن يفيدهم أو ينور بصائرهم لخلافه لما فهموه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وكلام العلماء ، فهذا ونوعه من الأسباب التي أكثرت الخلاف والتنافر بين الكثير من الشعوب الإسلامية ، وذلك بأن يقوم طالب أو مبتدئ لم يتمكن من معرفة ما أوجب الله عليه في حدود نفسه ومحيط أسرته ولامايحق له الإقدام عليه أو الإحجام عنه فيمسك بقلمه وقرطاسه ويتردد على بعض المراجع فيكتب ويطبع وينشر دون أن يعلم ماذا ستكون العاقبة عليه هو نفسه في دينه ، ولاعلى من سيقرؤه عنه ويتمسك به . فهذا عمر بن الخطاب رضي الله

عنه يقول : « اترك سبعين باباً من الحلال خشية أن أقع في الحرام » .

وهذا طالب الماجستير نفي لنا الولاية نفياً تاماً بدون استثناء ، والله تعالى يقول : ﴿ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحنون ﴾ قلتُ : إن الإيمان التام والإستقامة التامة دليل على الولاية « فحكمنا على الإنسان من خلال ظواهره والله يتولى سرائره فالدين الإسلامي ينهانا عن أن نحكم على المسيء بسوء الخاتمة :

لابالعذاب للمسيء يُقطعُ والكفر والتخليد عنه يُمنع

فكيف بمن حسن حاله ظاهراً وباطناً لتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فهذا رسول الله ﷺ يقول فيما يرويه عن ربه : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » فعلمنا من الآية الكريمة السابقة ، ومن هذا الحديث القدسي أن هذه الولاية وهذه المعاداة وهذه الحرب التي أوعد الله بها هذا المعادي أنها في الدنيا وليست في الآخرة ، لأن الآخرة هي دار نعمة وقرار للمؤمنين وليست دار معاداة ولاحروب وبهذا تبطل أقاويل القائل بنفي الولاية الذي سد على المسلمين باباً فتحه الله ورسوله ﷺ ، بقوله :

« إنه لايجوز لنا أن نقول لأحد ولياً إلا إذا علمنا حسن خاتمته » وهذا شيء لايعلمه إلا المحيي المميت الحي القيوم ، ويكفي في بطلان نفيه للولاية ما أورده من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عند مناقشته لهذه المسألة حيث يقول :-

« إن للعلماء والصوفية فيها قولين ، والأولى بالتحقيق الجمع بين القولين فيحكم لمن قام به الإيمان والعمل الصالح بالولاية لله تعالى لمحبة الله تعالى لما قام به من الخير ، وإن كان في علم الله أنه يوافي كافراً أو مرتداً كما أنه يحكم لمن قام به الكفر والفسوق بعدم الولاية لله تعالى لبغض الله تعالي لما قام به وإن كان في علم الله أنه يوافي مؤمناً ، وأن من كوشف بعاقبته من المكاشفين أو عاقبة غيره لايجوز له القطع على ذلك لأن كثيراً ممن يظن به أنه حصل له هذا الكشف يكون ظاناً في ذلك والظن لايغني من الحق شيئاً » .

فكلام ابن تيمية هذا هو الحق ، والصواب الذي لاغبار عليه ولايحتاج إلى تعقيب ، فلو

فهمه طالب الماجستير لكان اكتفى به ونجى بنفسه من الخوض فيما لاعلم له به ، لأن هذا المجال ضيق جداً على الطلاب والمبتدئين ، فأخذه من المراجع دون أن تكون له دراسة سابقة يفضي بصاحبه إلى التناقض والتشويش على نفسه وعلى العامة وهذا مما لاتحمد عقباه .

وفي ص ٤٥٠ يقول طالب الماجستير :-

« إن القادرية أنفسهم ينصون على أن الولاية أمر خفي لايعلمه إلا الله ، ولهذا قد ظهر للناس تخليط كبير بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان من المشعوذين والدجالين وأصحاب علوم الشر بأنواعها ، إلى أن قال : « اللهم إلا إذا كانت الولاية عند القادرية لها معنى خاص كما هو المفهوم من كتبهم والمنقول عن مشايخهم ولكن قد بين مبارك بن محمد الميلي الجزائري معنى الولي عند الناس وخصوصاً في محيط المجتمعات الطرقية فقال :-

« أما الولي عند الناس فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية ولو كان في جهله بدينه مساوياً لحماره ، وإما من اشتهر بالكهانة وسموه مرابطاً ولو تجاهر بترك الصلاة وأعلن شرب الخمر ، وإما من انتهى إلى مشهور بالولاية ولو كان إباحياً لايحرم حراماً » .

قلتُ : أما قول طالب الماجستير : « إنه قد ظهر للناس تخليط كبير بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » فهذه الكلمات لاتعدو سوى كونها سجعاً وتنميقاً لعباراته وألفاظه ، لأن هذين الوليين بينهما بون شاسع وفرق واسع ولايلتبسان إلا على مطموس البصيرة عديم الإيمان والمعرفة ، فولي الرحمن وصفه الله تعالى في كتابه العزيز ووصفه رسوله ﷺ في حديثه الشريف ، وقد أوردنا الكثير من هذه الآيات والأحاديث التي وُصف بها ولي الرحمن في المقدمة وفيما بعدها ، ولاحاجة لنا في إيراده هنا ، ثم إن ولي الرحمن يعلمه الخاص والعام بالصفات التالية :-

وهي أنه غلباً لايوجد إلا في بيوت الله أو حلقات الذكر أو في حلقات التدريس أو ساعياً في إصلاح ذات البين أو ساعياً في رفع الظلم عن مظلوم أو مساعدة محتاج أو سقيم ، ثم إنك لاتراه استقر في مكان إلا هدى الله على يديه كافراً أو أرشد به زائغاً أو منحرفاً أو علم به

جاهلاً ليزيد في الإسلام لبنة إلى غير ذلك من أعمال الخير والبر وباختصار فإنك لاتفقده حيث أمره الله ولن تجده حيث نهاه ، قال الشيخ سيدي المختار في وصفه له :-

« فالعالم الرباني هو الذي ورث النبي ﷺ علماً وحالاً ومقالاً ومعرفة واعتقاداً وهداية وإرشاداً وموافقة وانقياداً وتسليماً واعتماداً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً ورغبة وزهداً » ، وللأسف الشديد ، هذا النوع بالذات نراه في بداية القرن الخامس عشر الهجري صار مطلباً مرغوباً وهدفاً سائغاً لأصحاب الأقلام العاملة لنيل المكاسب الدنيوية ولعله أظلنا الزمن الوارد فيه هذا الحديث : حدثنا الحسين بن الحسن بن سفيان أخبرنا أحمد بن نصر حدثنا عبد الله بن السري الأنطاكي ، حدثنا سعيد بن زكريا المدائني عن عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد زاذان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا لعنت آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد ﷺ » وأما ولي الشيطان فإنه على العكس من ذلك تماماً ، فلا تراه إلا في الأسواق أو في منتزهات السكر والشمول وفي نوادي العزف والرقص أو في بيوت البغي تراه يثير الفتن ويهوى سفك الدماء يسعى بين الناس بالوشاية لفساد ذات البين تسوءه كل نعمة رأى فيها مؤمناً وتسره كل نكبة أصيب بها مسلم إلى غير ذلك من أعمال السوء والمكر ، إذن كيف يلتبس هذا مع ذلك على من له أدنى بصيرة أو مثقال ذرة من العلم والإيمان ، لولا أن هذا الهجوم الكاسح على العلماء والصالحين كلف هذا الطالب جلب ما يعقل ومالايعقل - نسأل الله السلامة والعافية - وأما ذكره للأولياء الثلاثة واستدلاله بهم نقلاً عن مبارك بن محمد الجزائري وهم :

أ - الذي هو في جهله مساوٍ لحماره .

ب - والكاهن المجاهر بترك الصلاة وإعلان شرب الخمر .

جـ - والإباحي الذي لايحرم حراماً .

فهذه الأوصاف الثلاثة الصواب عندي أنه على من له أبسط ذوق من العلم أن ينزه لسانه وقلمه عن ذكرهم ، لأن ذكر هؤلاء في جملة عامة المسلمين يعد إهانة للإسلام والمسلمين فضلاً

عن أن يكون المراد من ذكرهم الغضُ والتنقيص من أولياء الله الذين قال الله في حقهم : ﴿ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ ولاأظن مع جهلي وقلة معرفتي أن قائل هذا المقال ينجو من الإثم فالولاية درجة خص الله بها بعضاً من عبادة المؤمنين ، وعرفهم بها دون غيرهم وأضافهم بها إلى نفسه « جل وعلا » فكيف يسمي بها مسلم " من هو كحماره " أو " كاهناً مجاهراً بشرب الخمر وترك الصلاة " أو " إباحياً لايحرم حراماً " ، فمن سمى هؤلاء بهذه الدرجة الفضيلة قد حرف كلام الله ووضعه في غير مواضعه ولهذا يأثم ، وإن كان قوله هذا على سبيل الإستدلال أو التهكم لأن الله تعالى لايجوز أن ينسب إليه إلا فعل الخير كصائم لله وساجد لله إلى غير ذلك مما نسب إلى نفسه من أعمال البر .

ولن نُطيل في هذا المجال لضيقه بالنسبة لنا وعجزنا عن توضيحه بما فيه الكفاية ، نسأل الله الهداية والتوفيق .

وفي ص ٤٦٧ ينقل طالب الماجستير عن الشيخ سيدي محمد قوله في سيرة والده الشيخ سيدي المختار أنه قال له : « كان إذا أشكل شيء على شيخه الذي يدرسه العلوم أنه يخلو بنفسه فيأتيه رجلان كأحسن ما أنت راءٍ من الرجال صورة وسمتاً فيفسران له ويُقرئانه ..» إلى أن قال : « وأخبرني الشيخ الوالد رحمة الله عليه أنه اشتغل بالنظر في علم الأوفاق ، فأتاه ملكان فقالا له : إن ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : إن شئت ألهمتك من علم الجدول مالم أفتحه على أحد قبلك ثم أوكلتك إليه وإن شئت أغنيتك عنه بمجرد ذكري والحضور معي وأنه اختار الغنى بمجرد الذكر والحضور مع ربه » .

وفي ص ٤٧٠ قال طالب الماجستير في معروض رده على ماتقدم بعد أن أورد الكثير من الأمور الغيبية التي لايعلمها إلا الله قال : « زيادة على الأخذ عن الملائكة وأصحاب هذه النصوص عند الفحص تتراجع أحوالهم بين الأمور الآتية :-

أولاً : ادعاء الألوهية ، وهذا كفر بالإجماع .

ثانياً : ادعاء النبوة والرسالة ، وهذا أيضاً لاخلاف في كفره .

ثالثاً : دجل وطلب مكانة عند الناس . إلى أن قال : « فالملائكة تختص بالنزول على الرسل بالرسالات » ثم يقول : « حيث إن في هذا ادعاء علم الغيب على الإطلاق ، والأخذ عن الله بواسطة الملك أو بلا واسطة وفي ذلك كله من ادعاء الربوبية والنبوءة ماكفر العلماء مرتكبيه » .

قلتُ : ولنتقصر هنا على ما نُسب للشيخ سيدي المختار ، وهو رؤية الملائكة والإلهام ، حيث قال طالب الماجستير : إن مدعي هذه الرؤية وهذا الإلهام قد ادعى الربوبية والنبوءة وأن العلماء كفروا صاحب هذا الإدعاء ، ونقول له : إنه بهذا قد ارتكب بهتاناً وإثماً عظيماً بقذفه علماء المسلمين أنهم ادعوا الربوبية والنبوءة ولم يعلم هذا أن تكفير المؤمنين أمر عظيم وخطر جليل لأن من كفر مسلماً قد أباح دمه وعرضه وماله ، وقيل : إن سفك محجمةٍ من دم مسلم ظلماً أعظم عند الله من ترك ألف كافر ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لايرمي رجل رجلاً بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » رواه البخاري .

وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المتسابان ماقالا على البادي منهما حتى يعتدي المظلوم » رواه مسلم .

قلتُ : إن المظلوم هنا لن يعتدي لأنه قد أفضى إلى ماقدم ، إذن فهو باق على البادي حتى يلقى به ربه .

أما رؤية الملائكة التي قال طالب الماجستير : إنها لاتصح لأن الملائكة تختص بالنزول على الرسل بالرسالات ، ويبدو أنه لهذا جعل من قال : إنه رآهم يدعي النبوءة ، وهذا جهل منه لما رُوي عن رسول الله ﷺ في ثبوت رؤية الآدميين للملائكة : حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا ، غير

أني أحببته في الله عز وجل ، قال : إني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

قال النووي في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب لحب الله تعالى العبد ، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة .

وكذلك الإلهام الذي قال طالب الماجستير : إنه ادعاء للربوبية فهو جهل منه أيضاً ، لأنه ثابت بالسنة وقد جاء في نص الحديث (بالمحدثين) وفسروه (بالملهمين) إلى غير ذلك من الألفاظ التي أطلقوها عليه كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح ، حدثنا عبد الله بن وهب عن إبراهيم بن سعد عن أبيه سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان يقول :-

« قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد ، فإن عمر بن الخطاب منهم » قال ابن وهب : تفسير محدثون : مُلهمون .

وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : محدثون بفتح الدال جمع محدث واختلف في تأويله فقيل : مُلهمٌ ، قاله الأكثر ، قالوا : المحدث بفتح الدال هو الرجل الصادق الظن ، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملإ الأعلى ، فيكون كالذي حدثه غيره به ، وبهذا جزم أبو أحمد العسكري ، وقيل : من يجري الصواب على لسانه من غير قصد ، وقيل : مكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوءة ، وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ولفظه : « قيل يا رسول الله ، وكيف يحدث ؟ قال تتكلم الملائكة على لسانه » .

ورويناه في فوائد الجوهري وحكاه القابسي وآخرون ويؤيده ماثبت في الرواية المعلقة ، ويحتمل رده إلى المعنى الأول : تكلمه في نفسه وإن لم ير ملكاً في الحقيقة ، فيرجع إلى الإلهام .

وفسره ابن التين : بالتفرس ، ووقع في مسند الحميدي عقب حديث عائشة : المحدث الملهم بالصواب الذي يُلقى على فيه ، وعند مسلم من رواية ابن وهب مُلهمون : وهي الإصابة بغير نبوءة . وفي رواية الترمذي عن بعض أصحاب ابن عيينة : محدثون يعنى مفهمون .

وفي رواية الإسماعيلي قال إبراهيم يعني ابن سعد قوله : محدث أي يُلقيَ في روعه ا.هـ

ويؤيده حديث « أن الله جعل الحق على لسان عُمر وقلبه » أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر ، وأحمد من حديث أبي هريرة ، والطبراني من حديث بلال وأخرجه في الأوسط من حديث معاوية .

وفي حديث أبي ذر عن أحمد وأبي داود يقول (به) بدل قوله (وقبله) ، وصححه الحاكم ، وكذلك أخرجه الطبراني في الأوسط من حيث عمر نفسه زاد : زكريا بن أبي زائدة عن سعد وهو ابن إبراهيم المذكور ، وفي روايته زيادتان : إحداهما : بيان كونهم من بني إسرائيل ، والثانية : تفسير المراد بالمحدث في رواية غيره، فإنه قال بدلها (يكلمون) من غير أن يكونوا أنبياء ، قوله : منهم أحد في رواية الكشميهيني من أحد ، ورواية زكريا وصلها الإسماعيلي وأبو نعيم في مستخرجيهما وقوله : وإن يكن في أمتي ، قيل : لم يورد هذا القول مورد الترديد فإن أمته أفضل الأمم وإذا اثبت أن ذلك وُجد في غيرهم ، فإمكان وجوده فيهم أولى ، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل ، إن يكن لي صديق فإنه فلان يريد اختصاصه بكمال الصداقة لانفي الأصدقاء ا.هـ .

وفي ص ٥٠٧ يقول طالب الماجستير :

« وهذا عرض لنصوص القادرية الموضحة لموقفهم من هذه العلوم ، التي يسمونها علوم السر ، يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي في (الشموس الأحمدية) فصل في العاديات وماوالاها ، وأن العين كسائر العاديات ، وأن السحر تخيل ولاحقيقة له ، وأما علم التراكيب والأوفاق فليسوا من الدين في شيء وينبغي النظر فيهم بعد الفراغ بشرط الشيخ والتقوى وتمام القريحة مع تجنب أسماء الجن والطوالع والألفاظ الأعجمية ، وإلا فشرك ، والكيمياء والإسطرلاب واستخراج الكنوز حرام وآلة الوقت وبيت القطب عمل من لاخلاق له كالتصوير وقنية الكلاب ، لم يكن من عمل السلف والميسر والأزلام والأنصاب أمر جاهلي مستحله كافر ، إلى أن قال : واختلف علماء السلف في ثبوت السحر ونفيه فمذهب أهل السنة وعلماء الأمة

على ثبوت السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته .

وأضاف أن مايقع منه إلا خيالات باطلة لاحقيقة لها ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر فيه : أن مستعمله يكفر بارتكابه وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لايمكن أن يكون مما لاحقيقة له ولايستنكر في العقل أن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين أقوال لايعرفها إلا الساحر وأنه لافاعل إلا الله تعالى ومايقع من ذلك فهو عادة أجراها الله على يد من يشاء من عباده .

ويقول : والكلام مازال للشيخ سيدي المختار في جواب لسؤال عن بعض صور الدجل المنتشرة بين الناس : أما البونيات فهذيان من العوام لايلتفت إليه وإنما ذلك مختص بالأسماء الحسنى فقد ورد وصح عنه ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة » وفي رواية : « من حفظها دخل الجنة » .

وأما هذه الأسماء المنظومة في البونيات فقد كان اليهود والنصارى تحفظها ، وكل مالم يرد عن الله ورسوله ﷺ وسلف الأمة فهو باطل لايلتفت إليه ولايعول عليه لقوله ﷺ :

« العلوم ثلاثة : آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة وما سوى ذلك فضل » ا.هـ .

هذا ما نقله طالب الماجستير في هذا المجال عن الشيخ سيدي المختار في عرضه لنصوص القادرية في علوم الأسرار ولم نجد فيما نقل عنه مايخالف السنة ، ولاماكان عليه السلف الصالح فضلاً عن أن يكون ادعاء للتصرف في الكون أو يكون كفراً أو كبيرة ، ولكن مذا فعل هذا الطالب ؟؟

لقد جمع الكثير من أقاويل غيره من الصوفية والمتصوفة ضمه إلى كلام الشيخ ليرد عليهم معاً كي لاينجو هذا الشيخ مما سيرميهم به من الكفر وارتكاب الكبائر أو ادعاء التصرف في الكون ، وقد قال في عرضه ونقده في ص ٥١٢ :

« هذه بعض نصوصهم التي يفهم منها ادعاؤهم التصرف في الكون بهذه العلوم وما

ادعوه بها داخل في مقدور المخلوقات على أنها منافية للولاية إذ هي تتراوح بين الكفر والكبيرة أو الحرمة » ولذا فإني أسأل طالب الماجستير كيف يضم الشيخ إلى من رماهم بادعاء التصرف في الكون والكفر وارتكا الكبائر بسبب العلم الذي قال الشيخ سيدي المختار في حقيقته : أن منه ماليس من الدين في شيء ، ومنه ماهو شرك ومنه ماهو عمل من خلاق له ، ومنه ماهو عمل جاهلي مستحله كافر ، ومنه ماهو علم اليهود والنصارى ، ولم يستثنى سوى أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين ، وقال في شأنه :

« كل مالم يرد عن الله ورسوله ﷺ وسلف الأمة فهو باطل لايلتفت إليه ثم قال : إن العلوم ثلاثة آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة » .

إذاً ضمُّه له مع غيره في هذه المسألة يوضح لنا في شخصية هذا الطالب الأمور التالية :

أولاً : عدم الصدق في نقله .

ثانياً : عدم العدالة في كتابته .

ثالثاً : عدم الأمانة في عرضه ونقده .

رابعاً : عدم الكفاءة العلمية التي تمكنه من الكتابة النزيهة الشريفة والسليمة من التخبط والتناقض .

إن ماجاء به هنا تحاشى فيه الحق والحقيقة وناقض فيه نفسه تناقضاً فاضحاً ، وهذا ما يؤول إليه كاتب يريد الدنيا بأعراض العلماء ، ويقول طالب الماجستير في نقده في ص ٥٤١ :

« ولعل في كلام بعض القادرية كالشيخ سيدي المختار وابنه الشيخ سيدي محمد والشيخ ماء العينين على ماتقدم عنه مايدل على توبتهم من هذه العلوم والإشتغال بها وادعاء الولاية بواسطتها ، يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي لمن ورد عليه في آخر عمره يريد هذه العلوم :

ياطالباً سر الحروف ورمزه — والشكل والأوفاق والتركيب

دع كل شيء غير ربك واستكن — واخضع فإن جلاله محجوب »

قلت : إن أمر هذا الطالب عجيب ومن أغرب أمره عندي حكمه على هذا الشيخ بالتوبة

بسبب هذين البيتين الذين قال : إنه قالهما في آخر عمره ، وهو لايدري متى قالهما ، لأن الناقل لهذه الأبيات التي من جملتها هذان البيتان - اللذان استدل بهما الطالب على توبة الشيخ - هو الشيخ سيدي محمد في كتابه جنة المزيد » .

ولم يشر إلى التاريخ الذي قالهما فيه والده ، وعلى هذا فلا يدري الطالب متى قالهما أفي أول عمره أو وسطه أم آخره ، ولعل كلام طالب الماجستير الذي رمى به الصوفية في ص ٤٩٥ انتزعه منهم واستعمله في تكفيرهم وتوبتهم ، وهو كلام تشمئز منه النفوس وتمجه الأسماع حيث قال :

« إنهم يعتقدون أنهم أعزاء على الله تعالى ومأمونون عنده على غيبه وأمره وملكه ، ولذا فوض لهم التصرف في الكون ، وأنابهم عنه فما قضوه للناس وانفقهم الله عليه » .

قلتُ : هذا كلام خطير واتهام شنيع ، فمن كان هذا اعتقاده فلا يعد من جملة المسلمين أصلاً ، وتكون الكتابة عنه في هذه الحالة لامعنى لها ولافائدة منها ، ومن كان على العكس فأين ينجو من الله من رماه بهذا البهتان العظيم والتهمة الشنيعة .

أما حكمه على الشيخ بالتوبة من خلال هذين البيتين فإنه يثير الإستغراب ، لأنه قرأ عن الشيخ من العلوم بجميع أنواعها واطلع على أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ودعوته إلى الله ونشره للإسلام ، وهذه الأمور كلها أدق وأشمل من هذين البيتين ، لكنه قد أورد في رسالته بعض ماكتبه الشيخ سيدي محمد عن والده : أنه كان يفسر القرآن عن ظهر قلب فاشمأزت نفسه من هذه الكلمة وأبعد نفسه عنها بقوله : كما يقول هو - يعني الشيخ سيدي محمد - وعلى هذا فلا يستغرب ماصدر عنه اتجاه هذا الشيخ ، وإن كانت أحكامه عليه بالتوبة تتعلق بالشعر فقط ، فقد أورد له قصيدة أعم من البيتين وأشمل ، فكانت موجب ازدرائه وتهكمه ، وعلى هذا أريد تفسيراً لهذا من طالب الماجستير أو من غيره ، وإليكم بعضاً من القصيدة التي أورد في رسالته :-

وإياك ترضى باقتناص فروعها ... بدون ارتشاق من مشارعها العَذْبِ

فمن لم يقيد بالكتاب علومه | طغى وبغى واستبدل البسر بالرطب
ولاتقتصر إن الحديث بيانه | وتفسيره نقه الأئمة لا الشغب
وثِق بكتاب الله والسنة التي | أتت عن رسول الله والعكس فاجتنب
ودع عنك أقوال الرجال ورأيهم | لقول رسول الله فهو الذي يطب
ولاتبتدع قولاً تخاف عقابه | فمن يبتدع في النار مع قوله يغب

وفي ص ٥٢٣ يقول طالب الماجستير :-

« قال الشيخ سيدي المختار الكنتي : فكما يجب على المريدين الإقتداء بالسلف الصالح في تعظيم المشايخ واحترامهم ظاهراً وباطناً ، يجب استحضار النية حالة تلقيه من شيخه وسمعه عنه انّه إنما يتلقى ويسمع من الله ورسوله ، ويستدل بقوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ ثم يقول : « وقال الشيخ سيدي محمد أيضاً : وكذلك إعطاء التلقين ، وهو أن ينوي المُلقِّن أخذ كلمة الجلالة على الوجه الواجب ناوياً أداء الفريضة من نية تخصها وإلا بقي الواجب متعلقاً بذمته » .

قال طالب الماجستير في نقده لما تقدم :-

« وهذا إن صح في الكفار والمشركين ، فإنه لايصح أن يشترط في من نشأ في الإسلام وتعلم الضروري من أحكام دينه ، وحتى إن كان بقي على جهله مع سلامة فطرته في بيئة إسلامية ، فإن مثل هذا الشرط والإستدلال بالآية لايصح في مثله ... » إلى أن قال : « فكيف يستقيم هذا مع ما قبله من اشتراط استحضار نية الدخول في الإسلام عند البيعة للشيخ الذي يمكن أن يكون المبايع له أعلم منه في الإسلام وأعماله » .

نقول لطالب الماجستير : إن قوله هذا يحتاج إلى الدقة والتصحيح لعدة أسباب ، وهي كالتالي :-

أولاً : ليس هو من يأتي بهؤلاء الملقنين ويعرف مكانتهم العلمية والعقائدية .

ثانياً : إن هذين الشيخين أسلم على يديهما مالا يُحصى من الناس ومن أجناس مختلفة

وأديان متعددة بما في ذلك الوثنيون .

ثالثاً : لايتأتى في العقل أن يأتي عالم بالإسلام وأعماله إلى من هو أجهل منه يريد الهداية على يديه أو مبايعته كما يقول الطالب إلا إذا كانت هذه المبايعة مبايعة بيع وشراء .

رابعاً : إن الشيخ سيدي محمد الذي صدر العلماء في كل أنواع العلوم لما قال : « أخذ كلمة الجلالة على الوجه الواجب ناوياً أداء الفريضة من نية تخصها وإلا بقي الواجب متعلقاً بذمته » فإنه يفهم من كلامه أن هذا الملقَّن هو داخل في الإسلام من كفر أو وثنية أو مجوسية ، هذا إذا كان الطالب يفهم ماخالف هواه وإلا فسر ماشاء بما شاء ليصل إلى مايشاء .

خامساً : أن أهل تلك البلاد يوجد فيهم أناس من ذلك التاريخ وحتى الآن ينطقون بالشهادتين نُطقاً لايدخلهم في الإسلام دخولاً يغنيهم عن التلقين المذكور لمن أراد أن يدخلهم فيه دخولاً حقيقياً ، وعلى هذا فإن الإستدلال بالآية الشريفة ليس فيه مايثير التعجب كما وقع للطالب وأقرب دليل على ماقدمناه رسالة وردت على الشيخ سيدي المختار ألف في الرد عليها كتابه " الأجوبة الشافية " وهذا بعض من رده على تلك الرسالة :-

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، الحمد لله مسبب الأسباب ومعتق الرقاب ، والصلاة والسلام على النبي الأواب وعلى جملة الآل والأصحاب ، وبعد : فقد بلغني كتابك ووجدني مشغولاً بتأليف كتاب يبلغ زهاء أربعة أسفار في حقائق الكتاب والسنة ، فلم يسعني قطعُه ، فأهملتُ جوابك حتى كدتُ أفرغ منه ورأيت أصحابك قد شمروا للسير ، فتصفحته فإذا أهم مافيه ثلاث مسائل :-

- بيان مقام التقوى الذي هو مقام الخواص .
- ومسألة منام المرأة .

ومسألة عامة عوام بلدكم الذين ينطقون بالشهادتين من غير قيام على دعيمة حق ولاتحقيق حتى بلغ من غباوتهم ظنهم بأن الرسول أخو الباري جل (أ) أو ابنه » .

وهنا أسأل طالب الماجستير : ما قوله في هؤلاء الناطقين بالشهادتين مع اعتقادهم الفاسد

بظنهم هذا ؟

فمن هذا معتقده بماذا يحكم عليه هذا الطالب ؟

وهل من لقنه بالشروط التي ذكرها الشيخان ارتكب ممنوعاً أو محظوراً أو يريد مساواة الرسول ﷺ في بيعته مع الصحابة ؟

فالجواب عندي : لا ثم لا ، بل هو رجل صالح نذر نفسه لله تعالى بالتبليغ عنه لما جاء به رسوله ﷺ والعمل على هداية الناس حسب أحوالهم ومعتقداتهم ، فمن كان يحتاج إلى تلقين لقنه ، ومن كان يحتاج إلى استحضار نية أمره باستحضارها إلى غير ذلك من الإرشاد والتبصير والتهذيب بتعليم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتعليم الفروع الفقهية ، وهذا ماعرف عنه ويشهد له به العام والخاص ، وكان لما قام به أثر بارز ومشهود ، مازال يؤتي ثماره حتى اليوم ولو أن كل من أعطاه الله علماً من المسلمين قام يدعو به إلى الله على هذا السبيل لكان أسلم لدينه وأنفع لخلق الله وبهذا يكون قد ربح دينه ودنياه بدلاً من أن يوجه علمه إلى تكفير من أقروا لله بالواحدانية ولرسوله بالرسالة قولاً وعملاً .

وأما جواب الشيخ عن هذه المسألة ، فقد قال : « أما سؤالك عن أقوام ينطقون بالشهادتين من غير معرفة معناهما وأنهم لايفرقون بين المُرسِل والرسول ولايقفون على دعيمة حق من دعائم الإيمان والإسلام ، فإن كانوا كما ذكرت ، فإنهم لايُضرب لهم في الإسلام بنصيب ، لأن الإيمان عقد والعقد أساس ، فمن أسس بيانه على تقوى من الله وأدناها اتقاء الشك والشرك والتعطيل والجهل ، وإنما يكون اتقاؤها بنفيها نفياً جازماًواعتقاد أضدادها اعتقاداً جازماً حتى أنه لو نشر بالمنشار لم يتزحزح يقينه عن محله بل ولاتنقص ذرة من ذراته ، وذلك لايكون ولايمكن إلا على اليقين الجازم بالدليل والبرهان مع صحبة التأييد من الله لأن حقيقة الإيمان التصديق الجازم الذي لايتخلله وهم ولاشك ولا ارتياب فإن طرأ شك أو ارتياب فهو منافق والمنافق كافر إلا أنه لايقتل لتحصنه بالشهادتين وامتثاله لدعائم الإسلام كالصلاة والزكاة ونحوهما ، وإن العقد ليس مما يعذر فيه بالجهل بل لايعذر مستحل الحرمة من الدين

ضرورة كالزنا وشرب الخمر ، فإن استحل مثل ذلك فإنه يحكم بردته وكفره ، قال الله تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ وأنت تعلم حقيقة إقامة الصلاة فليس هو إلا تحقيق فقهها والمواظبة عليها بشروطها وأوقاتها وذلك معدوم في مثل هؤلاء ، ثم إن الله تعالى لم يجعلهم إخواناً لنا في الدين في آية أخرى إلا بإتقان ماذكر والإتيان به ، فقال تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ ومن لم يأت بما ذكر فليس للمسلمين بأخ فيكون كافراً ، قال الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنين إخوة ﴾ وفي الحديث المشهور في جميع الصحاح :-

« أنه بينما ﷺ بارزاً إذ أتاه رجل شديد البياض ليس عليه أثر السفر فقال له : جئتُ أسألك ؟ قال : سَل عما بدالك . فقال : ما الإسلام ؟ فأجابه النبي ﷺ فقال : الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام على من استطاع إليه سبيلاً . فقال له : صدقت . ثم قال : ما الإيمان ؟ قال له النبي ﷺ : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه رسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .. الخ .

ونكتفي بهذا القدر للدلالة .

اعلم أخي الطالب أن لطالب العلم من الفضل والمكانة مالايحصى عدداً ولايُحصر كثرة ومدداً ، ولايرجى حصول ذلك إلا لمن صحت فيه نيته ، وصحة نيته في ذلك أن يكون غرضه فيه مرضاة الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده وإيثاره الخروج عن ظلمة الجهل إلى نور العلم، فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد عاقبتها آجلاً وتجنى ثمرتها في طاعة الله تعالى عاجلاً .

قال الحسن البصري - رحمه الله - :

« كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وزهده ، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيراً له من الدنيا بما فيها ، لو كانت له فيضعها في الآخرة ، وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق بالباطل ، فإذا كان ذلك لم ينفع فيه دعاء إلا كدعاء الغريق » .

وقال سفيان الثوري :-

« إنما يُتَعَلَّمُ العلمُ ليتقى به الله تعالى ، وإنما فضل العلم على غيره لأنه يتقى به الله تعالى ، فإن اختل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بأن يستشعر به التوصل إلى منال دنيوي من مال وجاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسراناً مبيناً » .

قال الله تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان ريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسوله الله ﷺ أنه قال : « من تعلم علماً لا يبتغي به وجه الله ولايتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرفَ الجنة يوم القيامة - يعني ريحها - » .

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول : « والله ما طلب أحد العلم إلا كان حظه منه ما أراد به » وقال : « عقوبة العالم موت القلب » ، قيل له : وما موت القلب ؟ قال : طلب الدنيا بعمل الآخرة » فإن انضاف إلى هذا الغرض أن يتصدى به إلى تولي الأعمال السلطانية

كائنة ماكانت ، أو يتوصل به إلى مال حرام أو شبهة فقد تعرض إلى غضب الله تعالى وسخطه وباء بإثمه وآثام المتقدمين به ، وكان الجهل إذ ذاك خيراً له من العلم وأحمد عاقبة . قال ابن عباد:-

« الغالب على طلبة العلم في هذه الأعصار هذه الأوصاف المذمومة ، لأن حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم الحرص على التقدم ، والرياسة قد ملكتهم فأصمتهم وأعمت أبصارهم ، ولذلك أمارات لاتحصى ولاتخفى ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يخرج آخر الزمان رجال ينتحلون الدنيا بالدين يلبسون جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذياب ، يقول الله تبارك وتعالى في حديث قدسي : « أبيَّ تغترون أم عليَّ تجترئون ، فبي حلفتُ لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران » رواه أبو هريرة رضي الله عنه .

واعلم أن العلم النافع المتفق عليه خلفاً عن سلف إنما هو العلم الذي يودي صاحبه إلى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الإيمان والتوافق بين الإسرار والإعلان إلى مايتبع ذلك من بغض الدنيا والزهد فيها وإيثار الآخرة عليها والموالاة للأدب بين يدي الله تعالى فيراعيها لفظاً وطلباً ومعرفة للأسباب الصادة له عن ذلك فيباعدها رفضاً وهرباً إلى غير ذلك من الصفات العلية والأحوال السنية ، فبهذا كله تحصل له فوائد العلم وثمراته الدنيوية والأخروية ، فإن خلا طالب العلم عنها فإن كان مايطلبه علماً حقيقياً كان حجة عليه وإن كان رسمياً كان وبالاً واصاً إليه - والعياذ بالله تعالى من ذلك - فمثل من قطع الأوقات في طلب العلم فمكث أربعين سنة يتعلم العلم ولم يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يُصَلِّ صلاة واحدة ، إذ المقصود من العلم العمل ، كما أن القصود بالطهارة الصلاة ، وقال أبو العباس المرسي رحمه الله :

« الفقيه من انفقأ الحجاب عن عين قلبه حتى شاهد عظمة ربه وفهم المراد بما أنزل في كتابه » . وقال فرقد السنجي - رحمه الله - :-

« سألت الحسن البصري عن مسألة فأجابني عنها ، فقلت له : إن الفقهاء يخالفونك ، فقال لي : ثكلتك أمك فرقد ، هل رأيت فقيهاً بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف لنفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقيم على سنة المصطفى ﷺ ، الذي لاينبذ من هو فوقه ، ولايسخر بمن هو دونه ، ولايأخذ على علم علمه حطاماً » وعلى المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه إلا لمن توهم فيه الخير والصلاح ، إذ بذلك تستقيم النيات والمقاصد التي ذكرناها ، ولايبذله لمن عَلِم سوء حاله وجهله ، قال رجل لسفيان الثوري : لو أنك نشرت مامعك من العلم رجوت أن ينفع الله به بعض عباده وتؤجر على ذلك ، فقال سفيان : والله لو أعلم بالذي يطلب العلم لايريد به إلا وجه الله لكنت أنا الذي آتيه في منزله فأحدثه بما عندي مما أرجو أن ينفعه الله به » .

وقد قيل في هذا المعنى :

ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقد قالت الحكماء : « زيادة العلم في رجل السوء كزيادة الماء في أصل الحنظل » .

وفيه يقال :

لو سُقي الحنظل شُهداً دائماً لم يلد الحنظل إلا حنظلة

لأن أصول الحنظل كلما ازداد ريها ازدادت مرارتها . فإن كان طلاب العلم يقصدون من ورائه تحصيل المراتب الدنيوية ويتنافسون به على الدرجات السلطانية ، فإن المفاسد التي تقع لهم بسبب ذلك في خاصة أنفسهم والمفاسد التي تتعدى منهم إلى غيرهم أكثر وأعظم ، وعلى هذا فدرء المفاسد أهم عند العلماء من جلب المصالح . أما جلب المصالح التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة بما يحصلونه من العلم لأنهم يستشعرون بذلك الوصول إلى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال والتمام ، فإذا استشعروا ذلك توجهوا بالهمم إليه وعكفوا بالجد والإجتهاد عليه ، ولولا هذا الإستشعار لم يتصور منهم ذلك ، فإذا حصلوا

على شيء من العلم وحصلت لهم مخائل وصولهم إلى أغراضهم الفاسدة فرحوا بذلك واغتبطوا ، وكلما ازدادوا علماً ازددوا فرحاً واغتباطاً بماهم فيه ، وهذا الفرح والإغتباط في غاية الذم لما يتعلق به من أسباب الدنيا وذلك بمنزلة السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وبعدها عن التأثير بالمواعظ والحكم ، كما قيل :

إذا قسى القلب لم تنفعه موعظة   كالأرض إن سُبخت لم ينفع المطر

فعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتهم وتظهر آثار ذلك على ظهواهرهم من الكتالب على الدنيا والركون إلى من هو عنده من أبنائها المترفين وليس لهم مايتوسلون به إليهم سوى علمهم ، فيحتالون على تحصيل إقبالهم عليهم وصرف وجوههم إليهم والتنفق عندهم بأنواع من الحيل ، ولايسلمون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق والمداهنة ويجرهم ذلك إلى أنواع من المخالفة وضروب من العصيان مع مايحل بهم في ذلك من الذل والهوان ، فإذا نالوا ذلك أو بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم ، فخرجوا من الحرية إلى استبعاد الأغيار ، واستبدلوا العلم النافع بالجهل الضار ، وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله :-

« لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله ، لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعاً وعز الإسلام وأهله ، ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم ، فبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك مافي أيديهم ، فذلوا وهانوا على الناس ، ولله در الشعراني حيث يقول في شأنهم وبيان أمثالهم :-

يقولون لي فيك انقباض وإنما   رأو رجلاً عن موقف الذل أحجما
هم الناس من داناهم هان عندهم   ومن أكرمته عزة النفس أكرما
أأغرسه عزاً وأجنيه ذلة   إذاً فابتاع الجهل قد كان أحزما
فلم أبتذل في خدمة العلم مهجتي   لأخدمِ من لاقيت لكن لأخدما
إذا قيل : هذا مشرب قلت قد أرى   ولكن نفس الحر تحتمل الظما

ومـا كل برق لاح لي يستـفـزني	وما كل مـافي الأرض أرضـاه مغنما
أنهنهُهـا عن بعض مـالايشـينهـا	مـخـافـة أقـوال العـدا فـيـمـا ولما
ولم أقض حق العلم إن كنت كلمـا	بدا طمع صـيـرته لي سلمـا
ولو أن أهل العلم صـانوه صـانهم	ولو عظمـوه في النفـوس لعُظمـا
ولكن أهانوه فـهـان ودنسـوا	مـحـيـاه بالأطمـاع حتى تجـهـمـا

من كتاب « المنة في اعتقاد أهل السنة »

الفهرس

الموضوع	الصفحة
- تعريف المؤلف والتمهيد .	٧
- بعض من أكاذيب طالب الماجستير وبيان ذلك .	٨
- رحلته العلمية هل تستحق هذا الاسم أم لا .	١١
- نبذة موجزة عن حياة الشيخ سيدي المختار الكنتي .	١٢
- مقتطف من كتابه كتاب المنة وذلك في العقيدة .	٢٠
- مقتطف من كتابه الأجوبة الشافية وذلك في حقيقة التقوى .	٢٧
- مقتطف من كتابه جذوة الأنوار في تعريفه للأولياء الأخيار .	٣٤
- إحدى خطبه التي كان يخطب بها في العيد ويتبعها بخطبة تخص يوم النحر أو الفطر .	٤٠
- رسالته إلى أحكام وقضاة تنبكتو .	٥٠
- رسالته إلى المختار بن آقريشي .	٥٥
- قصيدته التي يصف فيها الجنة ويرغب فيها ويصف فيها الدنيا ويحذر منها	٥٦
- الموعظة البالغة النظمية .	٥٨
- قطعة شعرية من مراثيه .	٦٠
- ومن مراثيه أيضاً .	٦١
- رسالة من ابنه الشيخ سيدي محمد إلى أخيه الشيخ سيدي باب أحمد	٦٢
- قصيدته التي يصف فيها الإنسان روحاً وعقلاً وجسداً .	٧٥
- رسالة من الشيخ سيدي المختار الحفيد إلى سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن بن هشام .	٧٧
- رسالة من أحد أحفاده الشيخ باي بن الشيخ سيدي عمر إلى الأمير الميمون	

الموضوع	الصفحة

بن حمادي .	٩١
- طعن طالب الماجستير في نسبه كنته والرد عليه .	٩٥
- تشبيهه للشيخ سيدي المختار في إنتسابه إلى عقبة بن نافع بانتساب فلان إليه والرد عليه .	٩٦
- نقده لما كتب الشيخ سيدي محمد عن نسب كنته والرد عليه .	٩٧
- محاولته أن ينسب كنت إلى أمية جديدة لانعرفه والرد عليه .	٩٨
- نقده لطفولته الشيخ رحمه الله والرد عليه .	١٠١
- نقده لدراسة الشيخ رحمه الله والرد عليه .	١٠٢
- نقده لمجاهدات الشيخ ورياضاته والرد عليه .	١٠٣
- إستبعاده لما أخذ الشيخ من العلوم في مدة حددها الطالب من نفسه والرد عليه .	١٠٥
- مقارنة بين الشيخ سيدي المختار والشيخ محمد فاضل ونقده للأول بما يمدح به الآخر .	١٠٧
- المترجمين الذين حاولوا إبراز بعضاً من مكانة الشيخ سيدي المختار الكنتي .	١١٠
- قول الطالب أن أمثال الشيخ كثيرون في بلاده عاصروه وجاؤا بعده نفي هذه المقولة والرد عليها .	١١١
- مناقشة عقيدة الشيخ هل هي صحيحة أم لا ، والرد عليها جاء في المقدمة .	(٢٠)
- نفيه كون الشيخ مجدد القرن الثاني عشر بيان هذه المسألة والرد عليه	١١٥
- وشاية طالب الماجستير التي جاء يحملها من المغرب والرد عليه .	١٢١
- تعريف الشيخ للأولياء نقد الطالب له والرد عليه .	١٢٣

الموضوع الصفحة

- نقد الطالب للشيخ في التماسه مخرجاً للشيخ الجيلاني في كلام نسب إليه والرد عليه . ١٢٥
- نفي طالب الماجستير للأولياء جملة وتفصيلاً والرد عليه . ١٢٦
- إلتباس أولياء الله وأتباع الشيطان على الطالب بيان ذلك والرد عليه . ١٢٨
- تكفير طالب الماجستير لمن قال أنه رأى ملكاً أو ألهمه الله شيئاً والرد عليه . ١٣٠
- موقف الشيخ سيدي المختار مما يسمى بعلوم الأسرار نقد الطالب له والرد عليه . ١٣٣
- إقرار الطالب بتوبة الشيخ بعد تكفيره له والرد عليه . ١٣٥
- نقد الطالب تلقين الشيخ المريدين كلمة التوحيد وقوله أن المريدين اعلم من الشيخ بالإسلام وأعماله والرد عليه . ١٣٧
- هدية إلى طالب الماجستير وتبين هذه الهدية ماذا يجب أن يكون عليه طالب العلم وماذا يحل به إذا انحرف عن ذلك المسار . ١٤١
- الفهرس ١٤٦